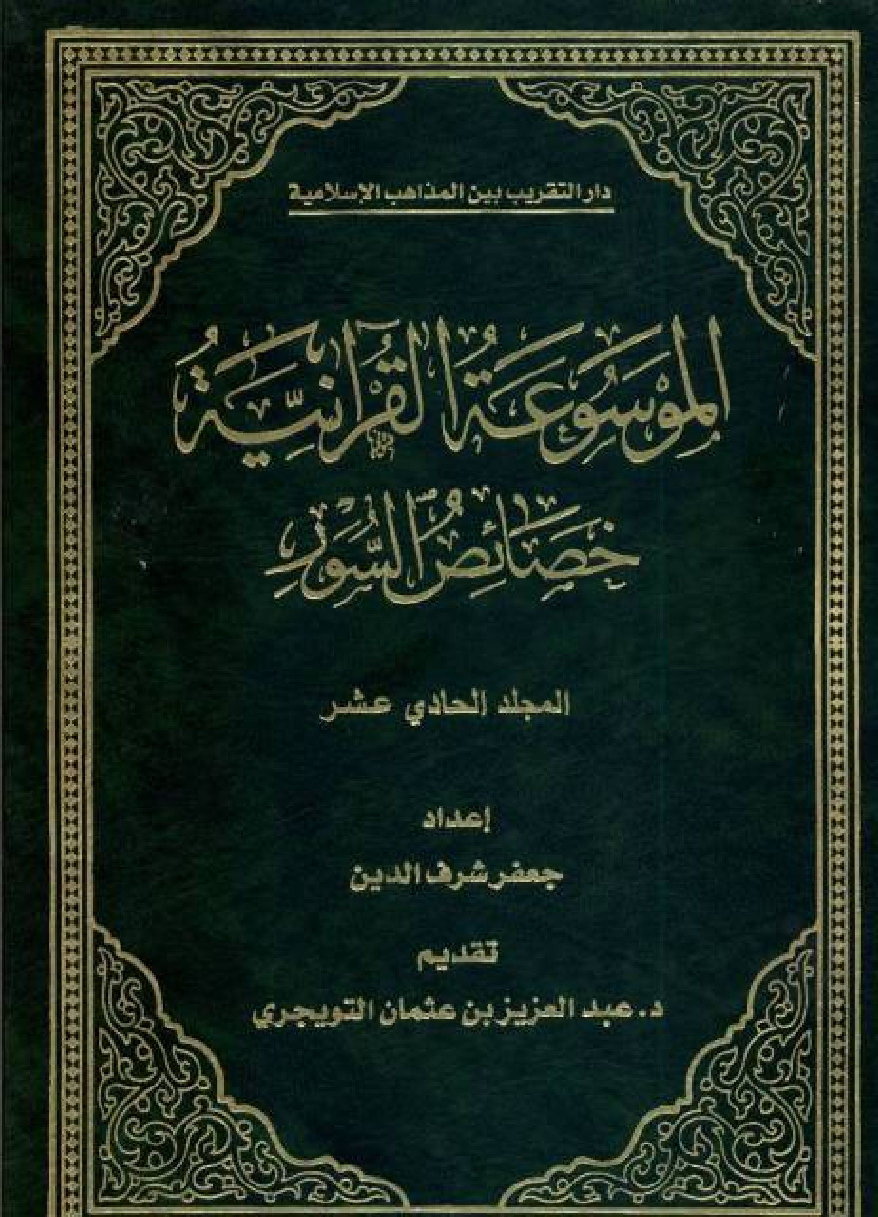


دار التقريب بين المذاهب الإسلامية
الموسوعة القرآنية
خصائص السور
المجلد الحادي عشر
إعداد
جعفر شرف الدين
تقديم
د. عبد العزيز بن عثمان التويجري



الموسوعة القرآنية
خصائص السُّوَر

دار التقريب
بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص.ب ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)
تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ ـ ٣٥٣٠٠٠ (٩٦١١)
e-mail: allprints@netgate.com.lb

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م

الإخراج الفني: زاهية عاصي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة المُرسلات

٧٧


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «المرسلات»(*)

سورة المرسلات سورة مكّية، آياتها خمسون آية، نزلت بعد سورة الهُمَزَة.

وسورة المرسلات سورة قصيرة الآيات، عاصفة الملامح، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة تُلهب صدور المنكرين، توقف القلب البشري وقفة المحاكمة الرهيبة، فتواجهه بسيل من الاستفهامات والاستذكارات، والتهديدات، تنفذ إليه كالسهام المسنونة.

«وتعرض السورة عدداً من المشاهد المتنوّعة عن الكون وخلق الإنسان واليوم الآخِر، وعذاب المجرمين ونعيم المتّقين. وعَقِبَ كلّ مشهد تلفح المذنبَ لفحةٌ من التهديد والوعيد، حين تقول ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة، وهو لازمة الإيقاع فيها، وهو أنسب تعقيب لملامحها الحادّة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد، وهذه اللازمة تذكرنا باللازمة المكررة في سورة الرحمن، عقب عرض كل نعمة من نعم الله على العباد ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾. كما تذكرنا باللازمة المكررة في سورة القمر، عقب كل حلقة من حلقات العذاب: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وتكرارها هنا على هذا النحو يجعل للسورة سمة خاصة، وطعماً مميّزاً حادّاً»[1].

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

(١) في ظلال القرآن ٢٩/٢٣١، بتصرف.

تسلسل أفكار السورة

تبدأ السورة بِقَسَم عاصف ثائر، بمشهد الرياح أو الملائكة، يتبعه عشر جولات متتابعة، تثير في النفس طائفة من التأملات، والمشاعر، والخواطر، والتأثرات والاستجابات.

١ ـ [فالآيات ٨ ـ ١٥] تصف مشاهد القيامة وتصوّر الانقلابات الكونيّة الهائلة في السماء والأرض. وفي هذا اليوم تنتهي حسابات الرسل مع البشر، ويتبيّن الصادق من الكاذب.

٢ ـ [والآيات ١٦ ـ ١٩] تَصِف مصارع الغابرين، وتشير إلى سنن الله تعالى في المكذّبين، فكما أهلك قوم نوح بالغرق، وأهلك أمم عاد وثمود وفرعون، فهو يفعل ذلك بكل مكذّب برسالات السماء، وهَدْي الأنبياء.

٣ ـ [والآيات ٢٠ ـ ٢٤] تصف النشأة الأولى، وما تشير إليه من تقدير وتدبير.

٤ ـ [والآيات ٢٥ ـ ٢٨] تصف الأرض التي تضم أبناءها إليها، أحياءً وأمواتاً، وقد جُهِّزت لهم بالاستقرار والجبال والمياه.

٥ ـ [والآيات ٢٩ ـ ٣٤] تصف حال المكذّبين يوم القيامة، وما يلقونه من تقريع وتأنيب.

٦ ـ [والآيات ٣٥ ـ ٣٧] استطراد مع موقف المكذّبين، وبيان ألوان العذاب والهوان الذي يتعرّضون له.

٧ ـ [والآيات ٣٨ ـ ٤٠] تصف ضعف الإنسان، وفقدان حيلته، أمام الجمع والحشر والحساب والجزاء.

٨ ـ [والآيات ٤١ ـ ٤٥] تصف نعيم المتقين، وطعامهم وشرابهم وتكريمهم.

٩ ـ [والآيتان ٤٦ ـ ٤٧] خَطْفَةٌ سريعة مع المكذّبين، في موقف التأنيب.

١٠ ـ [والآيات ٤٨ ـ ٥٠] وصف لحال المكذّبين، وامتناعهم عن الإيمان. والاستجابة لآيات القرآن.

وبعض هذه المشاهد قد سبق ذكره، وتكرّر وروده في القرآن الكريم، وفي السُوَر المكية بوجه خاص. ولكنها تُعْرَض هنا سريعةً أخّاذة، لها رنين وجِدّة في مشاهد جهنّم، وفي مواجهة المكذّبين بهذه المشاهد، وفي أسلوب

العرض والخطاب كلّه؛ ومن ثَمّ تبرز شخصية خاصة للسورة حادّة الملامح، متنوّعةً في أساليب الخطاب، متنقّلةً من قَسَم إلى خبر إلى استفهام إلى أمر، فذلك كلام الله، ومَنْ أحسن من الله حديثاً؟

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٧]: يُقْسِم الله تعالى بطوائف الملائكة، يرسلهنّ بالمعروف والإحسان، وأوامره الكريمة، فيعصفن عصف الرياح مسرعاتٍ وينشرن شرائعه في الأرض، فيفرقن بها بين الحقّ والباطل، ويلقين إلى أنبيائه ذكراً يريد تبليغهم إيّاه، عذراً للمحقّين، ونُذُراً للمُبطلين؛ يقسم بهذه الملائكة على أن ما توعدون من مجيء القيامة واقع لا محالة.

وقيل إن القَسَم في هذه الآيات بالرّياح، وآثارها في الكون، ونشرها السحاب في الأفق.

وقيل إن القَسَم في الآيات الثلاث الأولى بالرياح متتابعة كعُرْف الفرس، ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ الشديدة المهلكة، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ التي تنشر المطر، فأقسم سبحانه بالرياح النافعة والضارة.

والقسم في الآيات [٤ ـ ٦] بالملائكة: فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، وتلقي إلى الرسل وَحْياً فيه إعذارٌ إلى الخلق وإنذار.

ولعل من إعجاز القرآن أنّ الآية تشير إلى معنًى وتحتمل معنًى، وتستتبع معنًى آخر؛ ولعل هذا التجهيل والخلاف في مفهوم الآية مقصود لله سبحانه، ليكون أثرها أقوى في النفس.

وقد ذكر ابن جرير الطبري تفسير هذه الآيات، وعند تفسير ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ بيّن أن بعض المفسّرين قال هي الرياح، وبعضهم قال: هي المطر، وبعضهم قال: هي الملائكة.

ثم عَقَّب الطبري بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إنّ الله تعالى ذِكْرُه أقسم بالناشرات نشراً، ولم يُخَصِّص شيئاً من ذلك دون شيء، فالرياح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له، على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض، فدل ذلك

على أن المراد بالآية كل ما كان ناشراً»[1].

[الآيات ٨ ـ ١٥]: يوم تُطمَسُ النجومُ فيذهب نورها، وتُفرَجُ السماءُ أي تشقّ، وتُنسَفُ الجبالُ فهي هباء. وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون، تَعرِضُ السورة أمراً مؤجّلاً، هو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة والشهادة على الأمم، والقضاء والفصل بين كل رسول وقومه، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة/ ١٠٩]. وفي هذا اليوم عذاب وخِزْيٌ لمن كَذَّب بالله ورسله وكتبه، وبكلّ ما ورد على ألسنة أنبيائه وأخبروا به.

[الآيات ١٦ ـ ١٩]: تَجُول هذه الآيات في مصارع الأوّلين والآخِرين، وفي ضربة واحدة تكشف مصارع الأوّلين، من قوم نوح ومَنْ بَعْدَهم، وتتكشّف مصارع الآخِرين، ومَنْ لَفَّ لَفّهم. وعلى مد البصر تتبدّى المصارع والأشلاء، فهي سُنَّة الله التي لا تتبدّل، من سيادة الصالحين، وهلاك المجرمين. وفي الآخرة هلاك وعذاب شديد للمكذّبين.

[الآيات ٢٠ ـ ٢٤]: هذه الآيات جولة في الإنشاء والإحياء، مع التقدير والتدبير، فهي تصف خلق الإنسان من نطفة مراقة، تستقرّ في حِرْزٍ مكين وهو الرَّحِم، حتى تصير جنيناً مكتملاً ﴿فَقَدَرْنَا﴾ وقت ولادته ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [الآية ٢٣]، نحن، على التدبير وإحكام الصنعة. وفي الآخرة عذاب شديد للمكذّبين بآيات الله وقدرته وحكمته.

[الآيات ٢٥ ـ ٢٨]: وهذه الآيات جولة في خصائص الأرض، وتقدير الله فيها لحياة البشر، وإيداعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)﴾[2] تحتضن بنيها وتجمعهم ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦)﴾، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [الآية ٢٧] ثابتات سامقات، تتجمّع على قممها السحب، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب، أفيكون هذا إلاّ عن قدرة وتقدير، وحكمة وتدبير؟.. أفبعد هذا يكذّب المكذّبون؟ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)﴾.

[الآيات ٢٩ ـ ٣٤]: تنتقل الآيات في وصف مشهد من مشاهد القيامة، والكفّار ينطلقون بعد طول احتباس إلى

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ١٤٢ مطبعة بولاق، الطبعة الأولى، ١٣٢٩ هـ.

(٢) الكِفات: ما يُكفَت أي يُضَمّ ويَجمع.

العذاب الذي كانوا يكذّبون به في الدنيا.

إنه انطلاقٌ خيرٌ منه الارتهان والاحتباس، ﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾، وهو دخان جهنم يتشعّب لِعِظَمِه ثلاث شُعَبٍ، وتمتدّ ألسنته إلى أقسام ثلاثة، بعضُها أشد من بعض، ولكنه ظِلٌّ خيرٌ منه الوهج ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾، إنه ظلّ خانق حارّ لافح، وتسميته بالظلّ من باب التهكّم والسخرية، فهو لا يُظِلُّ مِنْ حرّ ذلك اليوم، ولا يَقِي من لهب جهنّم[1].

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ أي أن هذه النار يتطاير منها شررٌ متفرّق في جهات كثيرة، كأنه القصر عظماً وارتفاعاً، وكأنه الجمال الصفر لوناً وكثرةً وتتابعاً وسرعةَ حركةٍ؛ وفي اللحظة التي يستغرق فيها الحس بهذا الهول، يجيء التعقيب المعهود: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[الآيات ٣٥ ـ ٣٧]: هذا يومٌ لا يتكلّمون فيه بحجّة نافعة تنقذهم ممّا هم فيه، ولو كانت لهم حجّة لما عُذّبوا هذا العذاب، ولا يؤذن لهم بالاعتذار ولا يُقبل منهم، فالهلاك لمن كذّب بعذاب يوم القيامة.

«وقد سئل ابن عبّاس رضي الله عنهما عن هذه الآية، وعن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، فقال: في ذلك اليوم مواقف، في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون، أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نُطق»[2] والعرب تقول لمن ذكر ما لا يفيد: ما قلت شيئاً.

[الآيات ٣٨ ـ ٤٠]: هذا يوم الفصل

---

(١) في الشعر العربي:

والمستجير بعَمْرٍو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والرمضاء هي الرمل الساخن من شدة الحر، أي من قصد عَمْراً وهو في كربة فلن يجد ما يخفف عنه، بل سيجد ما يزيده ألماً، وينقله إلى ما هو أشدّ، كمن ينتقل من حرارة الرمال إلى حرارة النار. وكذلك الكفّار ينتقلون من حرارة المحشر، إلى ظل خانق لا يحمي من الحر ولا يقي من النار، وهو ظلّ مؤلم لا مريح.

(٢) تفسير النسفي ٤/٢٤٢، ٢٤٣.

لا يوم الاعتذار، وقد جمعناكم والأوّلين أجمعين، فإن كان لكم تدبير فدبّروه، وإن كانت لكم حيلة في دفع العذاب عنكم فاحتالوا لتخليص أنفسكم من العذاب. وفي هذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا، وإظهار لعجزهم وقصورهم حينئذ، فهم في صمت كظيم، وتأنيب أليم. والويل الشديد في ذلك اليوم للمكذّبين بالبعث والجزاء.

[الآيات ٤١ ـ ٤٥]: إنّ المتّقين في ظلال حقيقية، هي ظلال الأشجار على شواطئ الأنهار، فلا يصيبهم حرّ ولا قرّ، ويتمتّعون بما تشتهيه أنفسهم من الفواكه والمآكل الطيّبة. ومع التكريم الحسي يَلْقَوْنَ ألوان التكريم المعنوي، فيقال لهم على مرأى ومسمع من الجموع: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣): جزاءً بما عملتم في الدنيا من طاعة ربكم، واجتهدتم في ما يقرّبكم من رضوانه، فهل جزاء الإحسان في الدنيا إلاّ الإحسان في الجنة؟.

وبمثل هذا الجزاء نَجْزِي كل الذين يُحسنون في أعمالهم وأقوالهم، وشأنهم الإحسان، ويقابل هذا النعيم الويل للمكذّبين.

[الآيتان ٤٦ ـ ٤٧]: كلوا وتمتعوا قليلاً في هذه الدار بقيّة أعماركم، وهي قليلة المدى إذا قيست بالآخرة، وهناك ستحرمون، وتعذّبون طويلاً: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧).

[الآيات ٤٨ ـ ٥٠]: وإذا قيل لهؤلاء المكذّبين اعبدوا الله وأطيعوه، لا يستجيبون ولا يمتثلون، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) بأوامر الله ونواهيه، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠): أي إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجلّيها ووضوحها، فبأيّ كلام بعد هذا يصدّقون؟ والذي لا يؤمن بهذا الحديث الذي يهزّ الرواسي، وبهذه الهزّات التي تزلزل الجبال، لا يؤمن بحديثٍ بَعْدَه أبداً، إنّما هو الشقاء والتعاسة والمصير البائس، والويل المدّخر لهذا الشقيّ المتعوس.

إن هذه السورة ببنائها التعبيري، وإيقاعها المتناسب، ومشاهدها العنيفة، ولَذْعها الحاد، حملة لا يثبت لها كيان، ولا يتماسك أمامها إنسان؛ فسبحان الذي نزّل القرآن وأودعه ذلك السلطان.

مقاصد السورة

من مقاصد سورة المرسلات ما يأتي:

١ ـ القَسَم بالملائكة على أن البعث حقّ، وأنّ القيامة آتية.

٢ ـ الإخبار عن هلاك القرون الماضية، ووعيد المكذّبين بالمصير نفسه.

٣ ـ المنّة على الخلائق بنعمة الخلق والتكوين، وسائر النعم في الأنفس والآفاق.

٤ ـ وصف عذاب المكذّبين بما تشيب من هوله الولدان.

٥ ـ وصف نعيم المتّقين وما يلقونه من الكرامة في جنات النعيم، وبيان عظمة الخالق وكمال قدرته.

والحمد لله الذي بنعمته تكون الصالحات، وصلِّ اللّهُمّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



ترابط الآيات في سورة «المرسلات»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة المُرسَلات بعد سورة الهُمَزَة، ونزلت سورة الهمزة بعد سورة القيامة، وكان نزول سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة المرسلات في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)﴾، وتبلغ آياتها خمسين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: إثبات وقوع ما يوعدون به من العذاب، وبهذا جاء سياقها في الإنذار والترهيب والترغيب، كما جاء سياق السورة السابقة؛ ولهذا جاء ذكرها بعدها مناسباً لها.

إثبات وقوع العذاب الآيات [١ ـ ٥٠]

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)﴾ فأقسم، سبحانه، بهذا على وقوع ما يوعدون به من العذاب، ثمّ ذكر أنّه إذا طُمست النجوم وحصل غير هذا مما ذكره، فإنه يكون يوم الفصل في عذابهم؛ وويلٌ يومئذ لهم، ثم ذكر، جلَّ وعلا، أنه كما أهلك الأولين

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

والآخِرين يُهلكهم هم، وويل يومئذ لهم؛ ثم ذكر أنه قد خلقهم من ماءٍ مهِين، وجعل الأرضَ كِفَاتاً، إلى غير هذا مما يدل على قدرته على عذابهم. ثم انتقل السياق إلى الترغيب بعد الترهيب، فذكر، سبحانه، أنّ المتقين في ظلال وعيون، إلى غير هذا مما ذكره في ترغيبهم، ثم عاد السياق إلى ترهيب المكذّبين، فأمرهم، على سبيل التهديد، أن يأكلوا ويتمتعوا، إنهم مجرمون؛ وذكر أنهم، إذا قيل لهم اركعوا، لا يركعون: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المرسلات»(*)

أقول: وجه اتصالها بالسورة السابقة: أنه تعالى، لمّا أخبر في خاتمتها، أنه ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾، افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون واقع، فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين، وأوعد الظالمين.

ثم ذكر وقته وأشرطه بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ إلى آخره.

ويحتمل أن تكون الإشارة بما يوعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد للكافرين، ووعد للأبرار[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) وهناك مناسبة بين «القيامة» و«الإنسان» و«المرسلات» من ناحية خلق الإنسان. ففي «القيامة» قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾، فذكر بداية الخلق. وفي «الإنسان» تدرج إلى الحديث عن إتمام بناء الإنسان حتى صار شديد الأسر: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الآية ٢٨]. ولمّا كانت قوة الإنسان مَظِنّة كبريائه، ذكّره، في «المرسلات»، بمهانة أصله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾. ومعاني السور الثلاث تدور حول الأصول. ولذلك قال تعالى في «المرسلات»: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾، إعلاماً بقهره للعباد.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «المرسلات»(*)

أخرج ابنُ أبي حاتِم عن أبي هُرَيْرة، قال:

١ ـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ [الآية ١]: الملائكة[1].

وعن أبي صَالح، أنه قال في:

٢ ـ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ [الآية ٣].

٣ ـ ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ [الآية ٤].

٤ ـ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾ [الآية ٥]: الملائكة[2].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) وأخرج الطبري ٢٩/ ١٤٠ عن ابن مسعود وابن عبّاس ومجاهد وغيرهم: أنّها الرياح، ثمّ قال: «ولا دلالة تدل على أنّ المعنيّ بذلك أحد الحزبين دون الآخر، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكل مَنْ كان صفته كذلك فداخلٌ في قَسَمِه ذلك، مَلَكاً أو ريحاً أو رسولاً من بني آدم مرسلاً».

(٢) وأخرجه الطبري ٢٩/ ١٤٢، وروى عن آخرين: أنها الرياح؛ وقال آخرون: هي المطر. قال أبو جعفر الطّبري: «وأولَى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُهُ أقسم بالناشرات نشراً ولم يخصّص شيئاً من ذلك دون شيء؛ فالرياح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب. ولا دلالة من وجه، يجب التسليم له، على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كلّ مَنْ كان ناشراً».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «المرسلات»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

قُرئ: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بكسر الجيم بمعنى جِمال (جمع جَمَل)، و(جُمالة) بالضم، وهي القلس[1] للجسور أو السفينة.

وقُرئ (جُمالات) و(جِمالات) بالضم والكسر، للقُلوس.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) القَلْسُ: الحَبْلُ الضَّخْمُ.



المعاني اللغوية في سورة «المرسلات»(*)

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ كلها قسم على ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾.

وقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ فأضمر الخبر والله أعلم.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ على الحال.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٧﴾ بالرفع لأنه قُطِعَ من الكلام الأوّل، وإن شئت جزمته اذا عطفته على ﴿نُهْلِكِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ أي: جَعَلْنا لَكُمْ ماءً تشربون منه. وقال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان/ ٢١] للشفة، وما كان للشفة فهو بغير ألف؛ وفي لغة قليلة قد يقول للشفة أيضاً «أَسْقَيْناهُ»؛ قال لبيد[1] [من الوافر، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المئتين]:

سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى
نُمَيراً والقَبائِلَ من هِلالِ[2]

وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١﴾ ثم استأنف السياق: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري أحد شعراء المعلّقات، وأحد مخضرمي الجاهلية والاسلام. ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٤، والأغاني ١٤/ ٩٣ و ١٥/ ١٣٦.

(٢) الشاهد في ديوانه ٩٣ والصحاح واللسان (سقي).

﴿كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ أي: كالقصور[1] وقرأ بعضهم (كالقَصَر) أيْ: كأعناقِ الإبِلِ.

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾، بعض العرب يجمع «الجِمال» على «الجِمالات»[2] كما تقول «الجُزُرات» وقرأ بعضهم (جُمالاَتٌ)[3] وليس يعرف هذا الوجه.

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فرفع[4]، ونصب بعضهم[5] على قوله: «هذا الخبر يومَ لا ينطقون» وكذلك ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[6] [الآية ٣٨]، وترك التنوين للاضافة، كأنَّ السياق: «هذا يومُ لا نُطْقَ» وان شئت نوّنت اليوم اذا اضمرت فيه، كأنّك قلت «هذا يومٌ لا يَنْطِقُون فيه».



---

(١) القراءة بفتح القاف وسكون الصاد هي في الطبري ٢٩/ ٢٣٩ إلى قُرّاء الامصار وابن عبّاس، وفي البحر ٨/ ٤٠٧ إلى الجمهور.

(٢) هي في معاني القرآن ٣/ ٢٢٥ إلى عمر بن الخطّاب، وفي الطبري ٢٩/ ٢٤٢ الى عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيّين، وفي السبعة ٦٦٦ الى ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم، وفي الكشف ٢/ ٣٥٨، والتيسير ٢١٨، والجامع ١٩/ ١٦٥ الى غير حفص والكسائي، وفي البحر ٨/ ٤٠٧ الى الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب.

(٣) في الطبري ٢٩/ ٢٤٣ الى ابن عبّاس، وزاد في الجامع ١٩/ ١٦٥ مجاهداً وحميداً، وزاد في البحر ٨/ ٤٠٨ قتادة وابن جبير والحسن وأبا رجاء، وأهمل حميداً ومجاهداً، وكذلك في المحتسب ٢/ ٣٤٧.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٥ هي إجماع القراء. وفي البحر ٨/ ٤٠٧ إلى الجمهور.

(٥) في الشواذ ١٦٧ إلى الأعرج والأعمش، وزاد في البحر ٨/ ٤٠٧ زيد بن علي وعيسى وأبا حيوة وعاصماً في رواية.

(٦) الصافات ٣٧/ ٢١ أيضاً.

لكل سؤال جواب في سورة «المرسلات»(*)

إن قيل: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ينفي وجود الاعتذار منهم لأن الاعتذار إنما يكون بالنطق، فما فائدة نفي الاعتذار بعد نفي النطق؟

قلنا: معناه أنهم لا ينطقون، بعذر مقبول وحجة صحيحة، لا ابتداءً ولا بعد أن يؤذن لهم في الاعتذار، فإن الأسير والجاني الخائف، عادةً، قد لا ينطق لسانه بعذره وحجته، ابتداءً، لفرط خوفه ودهشته، ولكن إذا أذن له في إظهار عذره وحجته، انبسط وانطلق لسانه، فكانت الفائدة في الجملة.

الثاني: نفي هذا المعنى: أي لا ينطقون بعذر، ابتداء ولا بَعْد الإذن.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر/٥٢] يدلّ على وجود الاعتذار منهم، فكيف التوفيق بينه وبين ما نحن فيه؟

قلنا: قيل: المراد، بتلك، الظالمون من المسلمين، وبما نحن فيه يُراد الكافرون؛ وآخر تلك الآية يضعف هذا الجواب: أي قوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «المرسلات»(*)

قـولـه سـبـحـانـه: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧﴾ هـو اسـتـعـارة. والـمـراد بطمس النجوم، والله أعلم، مَحْو آثارها، وإذهاب أنوارها، وإزالتها عن الجهات التي كان يُستدلُّ بها، ويُهتدَى بِسَمْتها. فصارت كالكتاب المطموس الذي أشْكَلَت سطورُهُ، واستَعْجَمَتْ حُروفُهُ.

والطمس في المكتوبات حقيقة. وفي غيرها استعارة.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة النّبأ

٧٨


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «النبأ»(*)

سورة «النبأ» سورة مكّية، آياتها أربعون آية، نزلت بعد سورة «المرسلات».

تبدأ سورة النبأ بسؤال موحٍ، مثير للاستهوال والاستعظام، وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمر عظيم لا خَفَاءَ فيه ولا شبهة، ثم يأتي تهديدُهم بأنهم سيعلمون حقيقة هذا النبأ [الآيات ١ ـ ٥].

ثم يلفت السياق الأنظار الى عدد من المشاهد والحقائق، المتمثّلة في خلق الأرض، وإرساء الجبال، وخلْق الذكر والأنثى للتناسل والتكاثر وإشباع الرغبة وحاجة كل طرف الى الآخر، وخلق الليل سكناً، والنوم راحة وأمْناً، والنهار سعياً ومعاشاً، وخَلْق السماء والشمس، وإنزال المطر وإنبات النبات والبساتين [الآيات ٦ ـ ١٦].

ثم يعود السياق الى مشهد القيامة والبعث في [الآيات ١٧ ـ ٢٠] ويصف جهنم وأهوالها وعذابها، وجحود أهلها وتكذيبهم بآيات الله [الآيات ٢١ ـ ٣٠].

ثم يصف نعيم المتّقين في الجنّة وصنوف التكريم والحسّ المعنويّ [الآيات ٣١ ـ ٣٦].

وتختم السورة بمشهد جليل، في يوم القيامة، يوم تقومُ الملائكة صفاً، ويشتدّ الهول، ويلقى كل إنسان جزاء عمله [الآيات ٣٧ ـ ٤٠].

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

مع آيات السورة

كان المشركون، كلّما اجتمعوا في نادٍ من أنديتهم، أخذوا يتحدّثون ويسأل بعضهم بعضاً، ويسألون غيرهم، فيقولون: أساحرٌ هو أم شاعرٌ، أم كاهنٌ، أم اعتراه بعض آلهتنا بسوء؟ ويتحدّثون في شأن القرآن: أسحرٌ هُوَ، أم شعرٌ، أم كهانة؟ ويقول كلّ واحد ما شاء له هواه، والرسول سائرٌ قُدُماً في تبليغ رسالته، وأمامه مصباحه المنير الذي يضيء للناس سبيل الرشاد، وهو الكتاب الكريم. كما كانوا يتحدّثون في شأن البعث، ويأخذ الجدل بينهم كلّ مأخذ، فمنهم من ينكره البتّة، ويزعم أنه إذا مات انتهى أمره، وما هي إلا أرحامٌ تُدفع، وأرضٌ تبلع ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

ومنهم من كان يزعم أنّ البعث للأرواح دون الأجساد، لأنّ الأجساد تأكلها الأرض وتعبث بها يد البلى؛ وربما لَقِيَ أحدهم بعض من آمن بالنبي (ص)، فيسائله عن ذلك استهزاءً وسخرية.

وفي هؤلاء وأشباههم نزلت هذه السورة، للرّدّ عليهم، وإقامة للحجّة على أن الله سبحانه قادرٌ على أن يبعثهم بعد موتهم، وإن صاروا تراباً، أو أكلتهم السباع، أو أحرقتهم النيران، لأنّ الله أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكلّ شيء علماً.

معنى الآيات

[الآيات ١ ـ ٣]: عن أي شيء يتساءل مشركو مكة؟ إنهم يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو البعث أو نزول الوحي على النبيّ الأمين، الخبر الذي اختلفوا فيه؛ فمن قائل إنه مستحيل، ومن شاكٍّ فيه متردّد يقول، كما ورد في التنزيل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية].

[الآيتان ٤ و٥]: تردّ الآيتان على تساؤلهم وشكّهم، بالتهديد الملفوف، وهو أوقع من الجواب المباشر وأعمق في التأثير، وتقول: فليزدجروا عمّا هم فيه، فإنّهم سيعلمون عمّا قليل حقيقة الحال، إذا حلّ بهم العذاب والنّكال، وأن ما يتساءلون عنه، ويضحكون منه حقّ لا شكّ فيه، ولا ريب في وقوعه.

[الآيات ٦ ـ ١٦]: تنتقل الآيات من موضوع النبأ العظيم، لتعرض أمام

الأبصار والبصائر، مظاهر القدرة الإلٰهيّة في خلق هذا الكون، فتذكر تسعة مشاهد، يُبصرونها بأعينهم، ولا يخفَى عليهم شيء منها:

١ ـ انبساط الأرض وتمهيدها لتحصيل المعاش، وإثراء الحياة.

٢ ـ سموّ الجبال لتثبيت الأرض وحفظ التوازن.

٣ ـ خلق الناس ذكوراً وإناثاً، ليتحقق الائتناس والتعاون، ويعم النفع.

٤ ـ جَعْلُ النوم راحةً للأجسام، وسكناً للأرواح، وانقطاعا عن الإدراك والنشاط.

٥ ـ جَعْلُ الليل لباساً ساتراً، يكون فيه السُّبات والانزواء.

٦ ـ جَعْلُ النهار معاشاً، تَحْدُث فيه الحركة والنشاط.

٧ ـ ارتفاع السموات فوقنا، مع إحكام الوضع، ودقّة الصنع، وقوّة البناء وشدّته وتماسكه.

٨ ـ وجود الشمس المنيرة المتوهجة، تسكب الأشعة والضوء والحرارة.

٩ ـ نزول المطر وما ينشأ عنه من الحَبّ والنبات، والجنات الألفاف، الكثيفة، الكثيرة الأشجار، الملتفّة الأغصان.

وتوالي هذه الحقائق والمشاهد على هذا النظام البديع، والتقدير المحكم، يوحي بأن وراء هذا الكون قوّة تدبّره، وحكمة تنظّمه، وتشعر بالخالق الحكيم القدير، الذي أبدع كلّ شيء خَلَقَهُ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

[الآيات ١٧ ـ ٢٠]: الناس لم يُخْلَقوا عبثاً، ولن يُتركوا سدى، والذي قَدَّر حياتهم ذلك التقدير المحكم، الذي يُظهره المقطع الماضي من السياق، قد جعل لهم يوماً مؤقّتاً، للفصل والقضاء بينهم. في ذلك اليوم ينفخ إسرافيل (ع) في البوق، فيأتي الناس جميعاً مسرعين، جماعاتٍ جماعاتٍ، والسماءُ المبنية المتينة فُتِحَت، وانشقّت وتصدّعت على هيئة لا عهد لنا بها، فكانت طرقاً وأبواباً. والجبال الراسية الثابتة تصبح هباءً مثاراً في الهواء، ومن ثَمّ فلا وجود لها، كالسراب الذي ليس له حقيقة.

[الآيات ٢١ ـ ٣٠]: تمضي الآيات خطوة وراء النفخ والحشر، فتصوِّر مصير الطغاة، وتذكر ما يأتي:

إنّ جهنّم خلقت ووجدت مكانًا مترصّداً للطاغين، ينتظر حضورهم، ويترقّب وصولهم. إنّ جهنّم مرجع الطغاة ومكان إيابهم وعودتهم. روى ابن جرير عن الحسن أنه قال: لا يدخل أحد الجنة حتّى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا، وإلاّ احتبس.

وسيمكث الطغاة في النار دهوراً متلاحقة، يتبع بعضها بعضاً، فكلّما انقضى زمن تجدّد لهم زمن آخر. إنّهم لن يذوقوا في جهنّم طعاماً إلاّ الحميم، وهو الماء المغلي، والغسّاق، وهو الصديد الذي يسيل من جراح أهل النار، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾. قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار؛ إنّهم كانوا لا يتوقّعون الحساب، وكذّبوا بجميع البراهين الدّالّة على التوحيد والنّبوّة والمعاد، وبجميع ما جاء في القرآن؛ بينما كان الله يحصي عليهم كلّ شيء إحصاءً دقيقاً لا يفلت منه شيء، وسجّل أعمالهم في اللوح المحفوظ، أو كتبها في صُحُف أعمالهم. ويقال لهم على ألسنة خَزَنَةِ جهنّم من باب التأنيب الميئس من كل رجاء: ذوقوا أشد العذاب بما كسبت أيديكم، ولن نزيدكم إلاّ عذاباً من جنسه.

[الآيات ٣١ ـ ٣٦]: تعرض هذه الآيات المشهد المقابل، مشهد الأتقياء في النعيم، بعد مشهد الطغاة في الجحيم: إنهم يفوزون بالنعيم والثواب، ومن بعض مظاهره: الحدائق الكثيرة، والبساتين والأعناب، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ وهن الفتيات الناهدات، اللواتي استدارت أثداؤهن، ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ متوافقات السن والجمال، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ مُتْرَعة بالشراب، ولا يجري بينهم حين يشربون لغو الكلام، ولا يكذّب بعضهم بعضاً. هذه النعم جزاء من الله على أعمالهم، وهي عطاء وتفضّل من الله على حسب أعمالهم، وفي الحديث الشريف: «إنّكم تدخلون الجنّة بفضل الله، وتقتسمونها بحسب أعمالكم».

[الآيات ٣٧ ـ ٤٠]: هذا الجزاء السّابق للطّغاة وللتّقاة، من مالك السماوات والأرض، والمدبّر لشؤونهما، والمالك لما بينهما من عوالم، وهو الرحمن، ومن رحمته يكون الجزاء العادل المناسب للأشرار وللأخيار، ومع الرحمة الجلال، فلا

يملك أحد مخاطبته في ذلك اليوم المهيب.

يوم يقف جبريل والملائكة جميعاً مصطفّين، لا يتكلّمون إجلالاً لربّهم، ووقوفاً عند أقدارهم، إلاّ إذا أذن لهم ربّهم وقالوا صدقاً وصواباً.

ذلك اليوم هو الحقّ الموعود به، فلا مجال للتساؤل والاختلاف في شأنه. والفرصة لا تزال سانحة، فمن شاء عَمِلَ صالحاً يقرّبه من ربّه، ويُدنيه من ثوابه. إنّا نحذركم عذاب يوم القيامة، وهو قريب ليس بالبعيد، فجهنّم تنتظركم، وتترصّد لكم، على النحو الذي سمعتم، والدّنيا كلّها رحلة قصيرة، وكل آتٍ قريب.

وفي ذلك اليوم يجد الانسان جزاء عمله، ولقاء ما صنعه في الدنيا من الأعمال، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزّلزلة]. في ذلك اليوم يشعر الكافر بالندم والحسرة، فيقول: يا ليتني كنت تراباً أو حجراً، لا يجري عليه تكليف حتّى لا يعاقب هذا العقاب.

موضوعات السورة

اشتملت سورة النبأ على الموضوعات الآتية:

١ ـ سؤال المشركين عن البعث، ورسالة محمد (ص).

٢ ـ تهديد المشركين إنكارهم إيّاه.

٣ ـ إقامة الأدلّة على إمكان حصوله.

٤ ـ أحداث يوم القيامة.

٥ ـ ما يلاقيه المكذّبون من العذاب.

٦ ـ فوز المتّقين بجنّات النعيم.

٧ ـ أنّ هذا اليوم حقٌّ لا ريب فيه.

٨ ـ ندم الكافر بعد فوات الأوان.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «النبأ»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النبأ بعد سورة المعَارج، ونزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة؛ فيكون نزول سورة النبأ في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ وتبلغ آياتها أربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات البعث، وقد اقتضى هذا تهديدهم على إنكارهم له، وترغيبهم في الإيمان به، فكان سياقها في هذا مشابهاً لسياق سورة المُرْسلات، وهذا هو وجه ذكرها بعدها.

إثبات البعث
الآيات [١ ـ ٤٠]

قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ فذكر أنهم يتساءلون عمّا أخبرهم به من البعث، ويختلفون فيه بين منكر ومستبعد وشاكّ، وهدّدهم بأنهم سيعلمون صدق هذا النبأ. واستدل على قدرته عليه، بأنه، سبحانه، هو الذي جعل الأرض مهاداً، إلى غير هذا مما يدل على كمال قدرته. ثمّ ذكر سبحانه أنّ لهذا النبأ وقتاً معلوماً، وأنّ له علامات كالنفخ في الصُور ونحوه؛ وأنّ جهنم تكون فيه

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

مرصاداً للطاغين، فيلاقون فيها ما فصّله من العذاب؛ وأنّ للمتّقين مَفازاً من حدائق وأعناب وغيرها. ثم ذكر عزّ وجلّ أنه لا يملك أحد أن يخاطبه في ذلك اليوم، وأنه يقوم فيه الروح والملائكة صفّاً لا يتكلمون إلا بإذنه، ولا يشهدون إلاّ بالحق على عباده، فمن شاء أن يتّخذ إليه مآباً حسناً كان خيراً له. ثم خُتِمت السورة بِقُرْب ما أنذرهم به، بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾.



أسرار ترتيب سورة «النبأ»(*)

أقول: وجه اتصالها بالسورة التي قبلها، سورة «المرسلات»: تَنَاسُبها معها في الجمل. ففي تلك: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾. ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾. إلى آخره. وفي هذه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ إلى آخره. فذلك نظير تناسب جمل: «الضحى» و«ألم نشرح»، بقوله تعالى في الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾ إلى آخره. وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾، مع اشتراك هذه السورة، والأربع التي قبلها، في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله، وعلى ذكر بدء الخلق، وإقامة الدليل على البعث.

وأيضاً في سورة المرسلات: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾. وفي هذه السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ إلى آخره. فكأن هذه السورة شرحٌ ليوم الفصل، المجمل ذكره في السورة التي قبلها[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) لم يذكر المؤلف سورة النازعات، ومناسبتها لما قبلها. ونرى، والله أعلم: أنه طال وصف يوم القيامة في «النبأ»، ثم ذكر في «النازعات» حجة من أنكرها، ورد عليها، فقال: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ وذكر ندامتهم على تفريطهم بقوله سبحانه: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾. ثم أكد قدرته على إحياء الموتى، وأقام الدليل عليها في بقية السورة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «النبأ»(*)

١ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [الآية ٤٠].

قال أبو قاسم بن حبيب(١): رأيت في بعضِ التفاسيرِ أنَّ الكافرَ هنا إبليس. ذكره ابنُ عَسْكَر.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) أبو قاسم بن حبيب: هو الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب النّيسابوري الواعظ المفسّر، إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، مع الأدب والنحو، وكان عارفاً بالمغازي والقصص والسير، وانتشر عنه بنيسابور العلم الكثير؛ صنف «التفسير» و«عقلاء المجانين» وغير ذلك في القراءات والآداب، توفي سنة ٤٠٦.

ترجمته في: «طبقات المفسرين» للسيوطي: ٤٥، و«شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ١٨١، و«الأعلام» للزِّرِكْلي ٢/ ٢١٣.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني اللغوية في سورة «النبأ»(*)

قال تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ١٦﴾ وواحدها «اللُّفُّ».

وقال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦﴾ أي: «وافَقَ أعمالَهم وِفاقا» كما تقول: «قاتَل قِتالا».

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ٢٨﴾ لأن فعله على أربعةٍ؛ من باب «أَفعَلْتُ» «إفعالاً». وعلى هذا القياس تقول: «قاتل» «قِيتَالاً» وهو من كلام العرب.

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ٢٩﴾ بنصب (كل)، وقد شُغِل الفعل بالهاء لأن ما قبله قد عمل فيه الفعل، فأجري عليه، وأُعْمِل فيه فعلٌ مضمرٌ.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الآية ٤٠] فإن شئت جعلت التقدير «ينظر أيَّ شيء قدّمت يداه» وتكون صفته (قدمت) وقال بعضهم: «إنّما هو» ينظر إلى ما قدّمت يداه، فحذف «إلى».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «النبأ»(*)

إن قيل: كيف اتصل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ بما قبله؟

قلنا: لمّا كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور، وكانوا ينكرونه، قيل لهم: ألم يَخْلُقْ مَن وَعَد بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالّة على كمال قدرته على البعث؟

فإن قيل: لو كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه ما ذكرتم لَمَا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾: لأنّ كفار مكّة لم يختلفوا في أمر البعث، بل اتّفقوا على إنكاره؟

قلنا: كان فيهم من يقطع القول بإنكاره، وفيهم من يشكّ فيه ويتردّد؛ فثَبَتَ الاختلاف لأنّ جهة الاختلاف لا تنحصر في الجزم بإثباته والجزم بنفيه. الثاني: أنّ بعضهم صدّق به فآمن، وبعضهم كذّب به فبقي على كفره، فثَبَتَ الاختلاف بالنفي والإثبات. الثالث: أن الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ وفي ﴿هُمْ﴾ عائد إلى الفريقين من المسلمين والمشركين؛ وكلّهم كانوا يتساءلون عنه لعظم شأنه عندهم، فصدّق به المسلمون فأثبتوه، وكذّب به المشركون فنفوه.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩﴾ هو جزاء الشرط فأين الشرط؛ و«شاء» وحده لا يصلح شرطاً لأنه لا يفيد

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

بدون ذكر مفعوله؛ وإن كان المذكور هو الشرط، فأين الجزاء؟

قلنا: معناه فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف، اتّخذ إلى ربّه مرجعاً بطاعته. الثاني: أنّ معناه: فمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه مآباً، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف/٢٩] أي فمن شاء الإيمان فليؤمن، ومن شاء الكفر فليكفر.



المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «النبأ»(*)

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ استعارتان. وقد مضى الكلام على الأولى منهما. أما معنى كونِ الجبالِ أوتاداً، فلأنَّ بها مِسَاكَ الأرض وقَوامَها، واعتدالها وثباتها، كما يثبت البيت بأوتاده، والخِباءُ على أعماده.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النّازعات

٧٩


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «النازعات»(*)

سورة النازعات سورة مكيّة، آياتها ٤٦ آية، نزلت بعد سورة النبأ.

وهي نموذج من نماذج هذا الجزء، لإشعار القلبِ البشريّ بحقيقة الآخرة، بهولها وضخامتها. وفي الطريق إلى ذلك تمهيد بمطلع غامض مثير، في إيقاع سريع [الآيات ١ ـ ٥]. وعقب هذا المطلع الغامض الراجف الواجف، يجيء المشهد الأول من مشاهد ذلك اليوم في الآيات [٦ ـ ١٤]. ثم يجري السياق في عرض حلقة من قصّة موسى (ع) مع فرعون، فيهدأ الإيقاع، ويسترخي شيئاً مّا ليناسب جو الحكاية والعرض، وذلك في الآيات [١٥ ـ ٢٦].

ثمّ ينتقل الكلام من ساحة التاريخ إلى كتاب الكون المفتوح، ومشاهد الكون الهائلة، الشاهدة بالقوّة والتدبير، والتقدير للألوهيّة المنشئة للكون، المهيمنة على مصائره في الدنيا والآخرة، في تعبيرات قويّة الأثر، تأخذ بالألباب، وذلك في الآيات [٢٧ ـ ٣٣].

ثمّ يجيء مشهد الطّامّة الكبرى، وما يصاحبها من جزاء على ما كان في الحياة الدنيا، [الآيات ٣٤ ـ ٤١].

ثمّ يرتدّ الكلام إلى المكذّبين بهذه الساعة، الذين يسألون الرسول (ص)، عن موعدها، يرتدّ إليهم بإيقاع يزيد من روعة الساعة وهولها وضخامتها، [الآيات ٤٢ ـ ٤٦].

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٥]: أقسم الله تعالى بالملائكة، الذين ينزعون أرواح الكفار إغراقاً، أي مبالغة في النزع؛ وبالملائكة الذين يخرجون أرواح المؤمنين برفق، فيسبحون في إخراجها سبح الغواص، الذي يُخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفّار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، أو يسبقون للإيمان أو للطاعة لأمر الله، فيدبّرون ما يوكل إليهم من الأمور.

وقيل: أقسم الله تعالى بالنجوم، تنزع في مداراتها وتتحرّك، وتنشط منتقلّة من منزل إلى منزل، وتسبح سَبْحاً في فضاء الله وهي معلّقة بهذا الفضاء، وتسبق سبقاً في جريانها ودورانها، وتدبّر من النتائج والظواهر ما أوكله الله إليها، ممّا يؤثّر في حياة الأرض ومن عليها.

وقيل: النّازعات والنّاشطات والسّابحات والسّابقات هي النجوم؛ والمدبّرات هي الملائكة. وجملة القول: أن هذه أوصاف لموصوفات، أقسم الله بها، لِعِظَم شأنها؛ وكل ما يصدق عليه الوصف، يصحّ أن يكون تفسيراً للآيات، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

[الآيات ٦ ـ ٩]: أُذكر يا محمّد يوم تضطرب الأرض، ويرتجف كل من عليها؛ وتنشقّ السماء؛ ويصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله؛ وهذه هي الرّاجفة أو النفخة الأولى في الصور؛ يتبع ذلك النفخة الثانية، التي يَصْحُون عليها ويُحْشرون؛ وهذه هي الرادفة[1].

قلوب الكافرين تكون يوم القيامة شديدة الاضطراب، بادية الذّلّ، يجتمع عليها الخوف والانكسار، والرجفة والانهيار.

[الآيات ١٠ ـ ١٤]: يقول الكافرون المنكرون للبعث: أصحيحٌ أننا إذا متنا راجعون إلى الأرض أحياءً كما كنّا؟ أنعود للحياة بعد تحلّل أجسادنا في التراب؟ إن صح هذا فهو الخسران

(١) ورد هذا المعنى في سورة الزمر قوله تعالى، في: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾.

الخالص، والرجعة الخاسرة، التي لم نحسب حسابها.

لا تستبعدوا ذلك أيّها الكافرون، فإنّما هي صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل (ع) في الصور، فإذا الناس جميعاً أحياء على سطح أرض القيامة.

[الآيات ١٥ ـ ٢٦]: تحكي هذه الآيات قصة موسى عليه السلام، وهي قصة تكررت في القرآن الكريم، لِمَا لقيه موسى من شدّة المعاناة مع قومه، فأصبح نموذجاً للصّبر والثبات. وفي الحديث الصحيح يقول النبي (ص): «يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا، فصبر».

تقول الآيات:

وهل جاءك يا محمد خبر موسى وقصته العجيبة؟ حيث تفضّل الله عليه فناداه، وكلّمه من وراء حجاب، بالوادي المبارك من طور سيناء (طُوى)[1]، فقال له ما معناه: اذهب إلى فرعون فإنّه طغى وتجاوز الحد، فتلطّفْ معه في القول، وقل له: هل ترغب في أن تطهّر نفسك من الآثام التي انغسمتَ فيها، وهل لك في الإيمان بالله، واستشعار الجلالة والجبروت وخشية عقاب الله وحسابه.

بَيْدَ أنّ هذا القول لم يفلح في هداية قلب الطاغية الجبار، فأظهر له موسى المعجزة الكبرى، وهي انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء بياضاً ساطعاً، يغلب ضوء الشمس. فأنكر فرعون رسالة موسى (ع)، وعصى أمر ربّه، ثم أعرض عن موسى، وسعى في إيذائه، وحثّ الناس على مقاومة دعوته، ثم جمع السحرة الذين هم تحت إمْرته وسلطانه، فقام فيهم يقول، كما ورد في التنزيل: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ الذي لا يدانيه أحد في القوّة والعظمة، وما زال في عُتُوّه وتطاوله، حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر (بحر القُلْزُم) عند خروجهم من مصر، فأُغرق فيه هو وجنوده، تنكيلاً به على ما صنع، وله في الآخرة عذاب السعير، وسيكون مثلاً للأوّلين والآخِرين. وفي قصة فرعون عِبْرَةٌ لمن له عقلٌ يتدبّر به في عواقب الأمور، فيثوب إلى رشده ويتّقي ربه.

---

(١) طُوَى علم للوادي، وهو وادٍ بأسفل جبل طور سيناء.

[الآيات ٢٧ ـ ٣٣]: يخاطب الله سبحانه منكري البعث، ويرشدهم إلى أنّ بعثهم هيّن على الله، بدليل ما يشاهدون من آثار قدرته في هذا الكون؛ فيقول لهم ما معناه: هل أنتم أشدّ خلقاً أم خلق السماء أصعب وأشقّ؟. إنكم لا تنازعون في أنها أشدّ منكم خلقاً، ومع ذلك لم نَعْجز عن إبداعها، فما الذي تستصعبونه من أمر بعثكم؟ والذي بنى السماء وأبدعها قادر على إعادتكم. قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر].

لقد رفع الله (سَمْكَ) السماء أي بناءها؛ وسَمْكُ كلّ شيء قامته وارتفاعه. والسماء مرفوعة في تناسق كامل، وتنسيق بين حركاتها وآثارها وتأثراتها، وقد جَعَل الله، سبحانه، ليلَها مُظلماً بمغيب كواكبها، وأنار نهارها بظهور الضحى.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾، ودَحْوُ الأرض تمهيدُها، وبسط قشرتها؛ بحيث تصبح صالحة للسير عليها، وتكوين تربة تصلح للإنبات: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١﴾، أي فجّر منها العيون والينابيع والأنهار، وأنبت فيها النبات، وثبّت الجبال في أماكنها وجعلها كالأوتاد، لئلّا تميد بأهلها، وتضطرب بهم: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾، أي إنمّا جعلنا ذلك كله ليتمتّع به الناس والأنعام. وليتنبّه الإنسان على عظمة التدبير والتقدير، فإنّ بناء السماء على هذا النحو، وإظلام الليل، وإضاءة النهار، وتمهيد الأرض، وإخراج النبات والماء، وإرساء الجبال؛ لم يكن كلّ ذلك سُدًى، وإنّما كان متاعاً لكم ولأنعامكم.

وهذا المدبّر الحكيم سبحانه، وفّر لكم هذا الخير الكثير، لتتمتّعوا به؛ ومن الحكمة والتدبير أن يكون هناك بعثٌ وجزاء، لإثابة الطائع، ومعاقبة الطُغاة والعصاة.

[الآيات ٣٤ ـ ٤١]: فإذا جاءت الداهية العظمى، التي تعلو على سائر الدواهي، وتَشْغَلُ الإنسانَ عن ولده ونفسه، غطّت على كل شيء، وطَمَتْ على كل شيء. عندئذٍ يتذكّر الإنسان سعيه ويستحضره أمامه، حينما يرى

أعماله مدوّنة في كتابه. وظهرت النار إلى مكان بارز، حتّى يراها كلّ ذي نظر، عندئذٍ تختلف المصائر والعواقب، فأمّا من تكبّر وعصى ربّه وجاوزَ حدّه، وآثر شهوات الحياة الدنيا على ثواب الآخرة، فالنارُ مَثْواه ومُسْتَقَرُّهُ.

وأمّا من استحضر في قلبه دائماً عظمة الله تعالى، ونهى النفس عمّا تهواه، وتميل إليه بحسب طبيعتها، فإنّ الجنّة ستكون له مستقراً ومُقاماً.

[الآيات ٤٢ ـ ٤٦]: يسألك كفّار قريش والمتعنّتون من المشركين عن القيامة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾: متى قيامها وظهورها؟ وأين موعدها؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾﴾: إنها لأعظم من أن تُسأل أو تَسأل عن موعدها، فأمْرُها إلى ربّك، وهي من خاصّة شأنه، وليست من شأنك، إلى ربك ينتهي علم الساعة، فلا يعلم وقت قيامها غيره سبحانه، ولم يعطِ علمها لِمَلَكٍ مُكَرَم، ولا لنبيّ مرسل. إنما أنت رسولٌ مبعوث لتنذر من ينفعه الإنذار، وهو الذي يشعر قلبه بحقيقتها فيخشاها، ويعمل لها ويتوقعها.

وإذا جاءت الساعة، ورأوا أهوالها وحسابها وجزاءها، استهانوا بالدنيا ومتاعها وأعمارها، ورأوا الدنيا بالنسبة للآخرة قصيرة عاجلة، هزيلة ذاهبة، زهيدة تافهة.

وتنطوي الدنيا في نفوس أصحابها، فإذا هي عندهم عشيّةً أو ضحاها؛ فكأنما الدنيا ساعة من نهار، أفَمِنْ أجلِ ساعة من نهار، يضيّع الانسان الجنّة والخلود في رِضوانها؟

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم] أي أنّ الدنيا أو الحياة الفانية، ليست إلاّ وقتاً قصيراً بالنسبة للآخرة. قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى].

موضوعات سورة النازعات

١ ـ إثبات البعث.

٢ ـ مقالة المشركين في إنكاره، والردّ عليهم.

٣ ـ قصة موسى (ع) مع فرعون، وفيها عاقبة الطغاة.

٤ ـ آيات الله في الآفاق.

٥ ـ أهوال يوم القيامة.

٦ ـ الناس في هذا اليوم فريقان: سعداء وأشقياء.

٧ ـ تساؤل المشركين عن الساعة وميقاتها.

٨ ـ نهي الرسول (ص) عن البحث عنها.

٩ ـ ذهول المشركين من شدّة الهول، والاستهانة بالدنيا حينما يرون الآخرة.



المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «النازعات»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النازعات بعد سورة النبأ، ونزلت سورة النبأ بعد الإسراء وقبيل الهجرة؛ فيكون نزول سورة النازعات في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾ وتبلغ آياتها ستاً وأربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات البعث أيضاً، فهي توافق سورة النبأ في الغرض المقصود منها، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

إثبات البعث
الآيات [١ ـ ٤٦]

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ فأقسم سبحانه، بما ذكره على أنهم سَيُبعثون؛ وذكر جلّ شأنه أنه يوم ترجف الراجفة بعد بعثهم، تجِفُ قلوبهم وتخشع أبصارهم؛ ثم ذكر استبعادهم لبعثهم، وقولَهم على سبيل الاستهزاء: إنه لو صح لكانت كرّتهم خاسرة، وأجاب بأنّ أمره لا يقتضي إلاّ زجرةً واحدة، فإذا هم بالساهرة أي (القيامة)؛ ثم ذكر أن فرعون كذّب بهذا قبلهم، وكان أشدَّ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

منهم، فأخذه بِنَكال الآخرة والأولى؛ ثم ذكر أنهم ليسوا أشدَّ خلقاً من السماء وغيرها من خلقه حتى يعجز عن إعادتهم؛ وأنه إذا جاء يوم القيامة يتذكّر كلّ إنسان ما عمله، وتكون الجحيم مأوى الطاغين، وتكون الجنة مأوى المتّقين؛ ثم ذكر تعالى أنهم يسألون عن الساعة أيّان مُرْساها استهزاءً بها، وأجاب بأنه لا يعلمها إلاّ هو، وإنّما ينذر النبي (ص) بها من يخشاها: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.



مكنونات سورة «النازعات»(*)

أخرجَ ابنُ أبي حاتِم عن أبي صَالح أنه، بقوله:

١ ـ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ [الآية ١]،

٢ ـ و﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ [الآية ٢]،

٣ ـ و﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ [الآية ٣]،

٤ ـ و﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ [الآية ٤]،

٥ ـ و﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾ [الآية ٥]،

عَنَى الملائكة

٦ ـ أما بقوله ﴿بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾، فإن عثمان بن أبي العاتِكة قال: إنه يعني بالسفح الذي بين جبل أريحا، وجبل حسان[1]. أخرجه ابنُ أبي حاتِم[2].

وقال وهب بن مُنَبِّه: هي بيتُ المَقدِس. أخرجه البَيْهَقي في «البعث»[3].

وقال ابنُ عَسْكَر:

قيل: هي أرض الشام[4].

وقيل: جبلُ بيت المقدِس[5].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) كذا في «تفسير الطبري» ٣٠/ ٢٤ ووقع اسم هذا الجبل: «حسان» في موضع آخر من «تفسير الطبري» ٩/ ٨٦ عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

(٢) والطبري ٣٠/ ٢٤.

(٣) والطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٢٤، بلفظ: جبل إلى جنب بيت المقدس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٢٤ عن سفيان قال: أرض بالشام.

(٥) راجع التعليق رقم (٣) السابق.

وقيل: هي جهنم[٦].

٧ _ ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

هي قوله، كما ورد في التنزيل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

قال عِكْرِمة، وعبدالله بنُ عَمْرو: قال، وكان بين الكلمتين[٧] أربعون سنة. أخرجه ابنُ أبي حاتِم.



(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣٠/٢٥ عن قتادة.

(٧) المراد بالكلمتين قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص/٣٨]، الأولى، والثانية قوله سبحانه، حكاية عن فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، انظر «تفسير الطبري» ٣٠/٤١ ط الحلبي، وذكر فيه تفسيراً آخر.

لغة التنزيل في سورة «النازعات»[*]

١ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

والسّاهرة: الأرض البيضاء المستوية، سمّيت بذلك لأن السّراب يجري فيها.

وهذا من قولهم: عين ساهرة، جارية الماء، وفي ضدّها نائمة، قال الأشعث بن قيس:

وساهرة يُضحي السراب مجلّلاً
لأقطارها قد جبتُها مُتلثّماً

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ أي: الداهية التي تَطُمُّ الدواهي، أي: تعلو وتغلب.

أقول: والعبارة في الآية ممّا ورثناه في العربية المعاصرة.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.



المعاني اللغوية في سورة «النازعات»(*)

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ①﴾ فأقسم، والله أعلم، على ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ㉖﴾ أو على: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ⑥﴾، ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ⑧﴾، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [الآية ١]، أو على ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ لـ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ⑥﴾ ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ⑦﴾ فحذفت اللام وهو كما قال جل ذكره، وشاء أن يكون في هذا، وفي كل الأمور.

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ⑩ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا﴾ كأنه سبحانه أراد: «أَنُرَدُّ إِذَا كُنَّا عِظاماً».

وقال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ⑯﴾. فمن لم يصرفه[1] جعله بَلْدة أو بُقْعة؛ ومن صرفه[2] جعله اسم واد أو مكان. وقال بعضهم: «لا بل هو مصروف وإنما يُراد بـ﴿طُوًى ⑯﴾: طوىً من الليل، لأنك تقول: «جِئْتُكَ بعدَ طُوًى من الليل» ويقال «طِوًى» منوّنة مثل «الثِّنى» وقال الشاعر[3] [من

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسبها الطبري ٣٠/٣٩ إلى عامة قرّاء المدينة والبصرة؛ وفي السبعة ٦٧١ إلى ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو؛ وفي الجامع ١٩/٢٠١ إلى غير ابن محيصن، وابن عامر، والكوفيين، والحسن، وعكرمة؛ وبكسر الطاء إلى الحسن، وعكرمة؛ وروي عن أبي عمرو.

(٢) هي قراءة نسبها الطبري ٣٠/٣٩ إلى بعض أهل الشام، والكوفة؛ وفي السبعة ٦٧١ إلى ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي؛ وفي الجامع ١٩/٢٠١ إلى ابن محيصن، وابن عامر، والكوفيين.

(٣) هو أوس بن مغراء القريعي، الصحاح واللسان «ثنى»؛ والمخصص ١٥/١٣٨؛ وطبقات فحول الشعراء ١/٧٩.

البسيط وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المئتين]:

تَرى ثِنانَا إذَا ما جاءَ بَدْأَهُمُ
وَبَدْأَهُم إن أتانا كانَ ثِنيانَا[4]

والثُّني: هو الشيءُ المَخْنِيّ.

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ٢٥﴾. لأنه حينما قال (أخذه) كأنه قال «نَكَّلَ له» فأخرج المصدر على ذلك. وتقول «والله لأضرِمَنَّك تَرْكاً بَيِّناً».



(٤) في المصادر السابقة، والمخصص ٢/١٥٩، والمقاييس ١/٢١٣ و٣٩١ بـ «بدوهم»؛ وفي طبقات فحول الشعراء ١/٧٩ كذلك، وصدره فيها:
ثِنيانُنا إنْ أتاهُمْ كانَ بدأهُمُ.

لكل سؤال جواب في سورة «النازعات»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى في الآيتين الأولى والثانية: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ بلفظ التأنيث، وكذا ما بعده، والكلّ أوصاف الملائكة، والملائكة ليسوا إناثاً؟

قلنا: هو قَسَمٌ بطوائف الملائكة وفِرَقِها، والطوائف والفرق مؤنثة.

فإن قيل: لِمَ أضاف الله تعالى الأبصار إلى القلوب في قوله سبحانه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾، أي ذليلة لمعاينة العذاب، والمراد بها الأعين بلا خلاف؟

قلنا: المراد أبصار أصحابها، بدليل قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية ١٠].

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾﴾، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام أراه الآيات كلّها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾ [طه/٥٦] وكُلُّ آية كبرى؟

قلنا: الإخبار في هذه الآية عن أوّل ملاقاته إيّاه، وإنمّا أراه في أوّل ملاقاته العصا واليد، فأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحاد معناهما. وقيل أراد بالآية الكبرى العصا، لأنها كانت المقدّمة، والأصل، والأخرى كالتّبع لها لأنه كان يتبعها بيده، فقيل له أدخل يدك في جيبك.

فإن قيل: لِمَ أضاف الله تعالى الليل

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

إلى السماء، بقوله جَلَّ وعلا: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [الآية ٢٩] مع أن الليل إنّما يكون في الأرض لا في السماء؟

قلنا: أضافه إليها، لأنه أول ما يظهر عند غروب الشمس، إنّما يظهر من أفق السماء من موضع الغروب؛ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩﴾ فالمراد به ضوء الشمس بدليل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ [الشمس] أي: وَضَوْئِها، فلا إشكال في إضافته إليها.



المعاني المجازية في سورة «النازعات»(*)

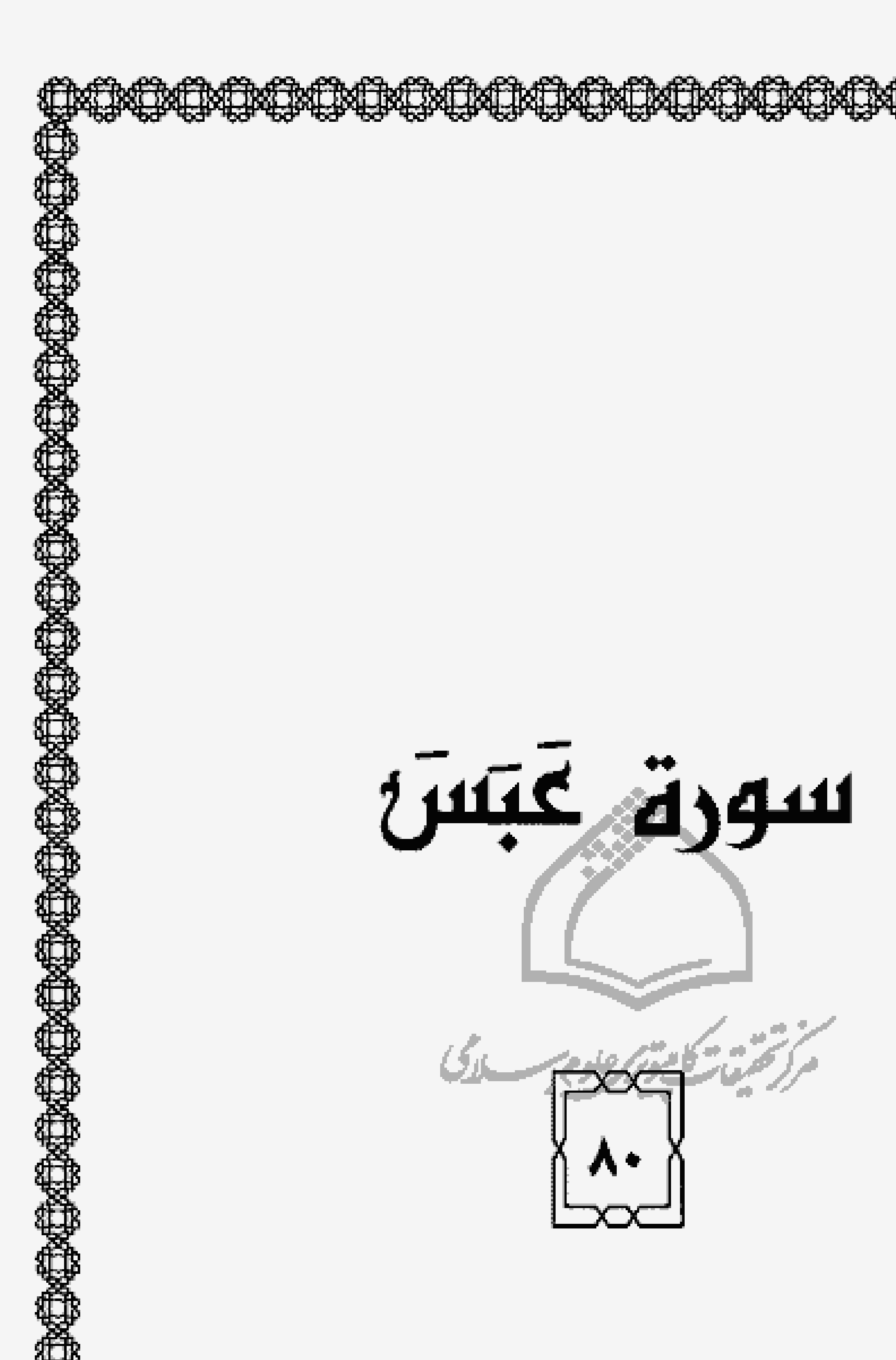
في قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ استعارة: لأنّ المراد بالساهرة هُهنا، على ما قال المفسّرون، والله أعلم، الأرض.

قالوا إنما سُمِّيت ساهرةً على مثال: عيشة راضية، كأنه جَاءَ على النسب: ذات السَّهَر وهي الأرض الْمَخُوفَة. أي يُسهَرُ في ليلها، خوفاً من طوارق شرِّها.

وقيل أيضاً: إنما سمّيت الأرض ساهرة لا تنام عن إنماء نباتها وزروعها؛ فعملها في ذلك ليلاً، كعملها فيها نهاراً.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.





سورة عَبَسَ

٨٠


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «عَبَسَ»(*)

سورة «عَبَسَ» سورة مكية، آياتها ٤٢ آية نزلت بعد سورة النجم

وهي سورة تصحّح القيم الإنسانية، وتضع الأسس الإسلامية لأقدار الناس وأوزانهم، وتؤكّد أن قيمة الانسان بعمله وسلوكه، ومقدار اتّباعه لهدى السماء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/ ١٣].

وقد نزلت سورة عبس في عبد الله بن أمّ مكتوم، وأمّ مكتوم أمّ أبيه، وأبوه شريح بن مالك ربيعة الزهري.

«وذلك أنه أتى رسول الله (ص)، وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يُسلم بإسلامهم غيرهم. فقال يا رسول الله أقرئني وعلّمني ممّا علّمك الله، وكرّر ذلك وهو لا يعلم شغله بالقوم؛ فَكَرِهَ رسول الله (ص) قَطْعَه لكلامه، وعَبَسَ وأعرض عنه، فنزلت؛ فكان رسول الله (ص) بعد ذلك، يُكرمه، ويقول: إذا رآه، مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين»(*).

فقرات السورة

تعاتب الآيات الأولى النبي (ص) على إعراضه عن عبد الله بن أمّ مكتوم، وقد جاء يطلب الهدى،

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

(*) تفسير النيسابوري ٣٠/ ٣٦.

ويُلحف في طلب العلم، [الآيات ١ ـ ١٦].

ويعالج المقطع الثاني جحود الإنسان، وكفره الفاحش لربّه، وهو يذكره بمصدر وجوده وأصل نشأته، وتيسير حياته، وتولّي ربّه له في موته ونشره، ثمّ تقصير الإنسان بعد ذلك في أمر ربّه [الآيات ١٧ ـ ٢٣].

والمقطع الثالث يعالج توجيه القلب البشري إلى أمسّ الأشياء به، وهو طعامه وطعام حيوانه، وما وراء ذلك الطعام من تدبير الله وتقديره له: [الآيات ٢٤ ـ ٣٢].

والمقطع الأخير يعرض الصاخّة التي يشتد هولها، ويذهل الإنسان بها عمّا عداها، وتنقسم الوجوه إلى ضاحكة مستبشرة، وعابسة مغبرّة: [الآيات ٣٣ ـ ٤٢].

وتسكب السورة الإحساس بقدرة هذا الكتاب الخارقة على تغيير موازين الجاهلية، وتصحيح القيم، وتغيير المَثَل الأعلى، فبعد أن كان احترام الإنسان لجاهه أو ماله، أو منصبه ومركزه، أو مظاهر سطوته وجبروته وقوّته، أصبح المثل الأعلى في الإسلام طلب الحق والهدى، والتزام هدى السماء، ومراقبة الله والتزام أوامره، والعمل بأحكامه، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/١٣]. وتبين آية أخرى أن الله جلّ جلاله يأمرنا بمكارم الأخلاق وينهانا عن المنكرات، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

مع آيات السورة

[الآيتان ١ و٢]: قطّب الرسول (ص) وجهه وأعرض، لأنّ الأعمى جاءه وقطع كلامه. وفي العدول عن الخطاب للغيبة التفات بلاغي، سِرُّه عدم توجيه اللوم والعتاب إلى الرسول (ص). ثم التفت الى الخطاب بعد هاتين الآيتين، عندما هدأت ثورة العتاب، وبدأ التلطّف.

[الآيتان ٣ و٤]: وما يُعْلِمُك لعلّ هذا الرجل الأعمى الفقير يتطهر، ويتحقّق منه خير كبير، ويشرق قلبه بنور الايمان، فتنفعه الموعظة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن

﴿رَبِّهِۦٓۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر].

[الآيات ٥ ـ ٧]: أمّا من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك، وعمّا عندك من الخير والإيمان، فأنت تتصدّى له، وتحفل بأمره، وأنت مبلّغ عن الله، عليك البلاغ، وليس عليك هُداهم، ولا يَضيرك إعراضهم.

[الآيات ٨ ـ ١٠]: وأمّا عبد الله بن أمّ مكتوم، الذي جاءك طائعاً مختاراً ساعياً يَخشَى ويتوقى، فأنت تتشاغل عنه بهؤلاء الأشراف من قريش؛ ثم تتصاعد نبرة العتاب لتبلغ حدّ الردع والزجر.

[الآيات ١١ ـ ١٦]: (كلا)، لا يكن ذلك أبداً.

إنّ هداية القرآن غالية عالية، فمن شاء اهتدى بها وتذكّر أحكامها، واتّعظ بها وعمل بموجبها. وهذا الوحي كريم على الله، كريم في كل اعتبار، منزّه عن النقص والضلالة، قد دُوّن في صُحُفٍ مكرّمة ذات شرف ورفعة، مطهّرة من النقائص والضلالات، تُنَزَّلُ بواسطة الملائكة على الأنبياء، وهم يبلّغونها للناس.

والملَكُ سفير لتبليغ وحي السماء، والرسول سفير لتبليغ الدعوة إلى الناس، وهم كرام أبرار أطهار لا يَعْصُون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقد بلّغ النبي الكريم وحي السماء، وغيّر كثيراً من المفاهيم السائدة، وجعل أسامة بن زيد أميراً على جيشٍ به أجِلّاء الصحابة، ووضع في نفوس أصحابه تقدير الناس بأعمالهم فقط لا بأحسابهم وأنسابهم؛ يقول عمر بن الخطاب (رض): «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته». ويقول عمر أيضاً: «أبو بكر سيِّدُنا وأعتق سيِّدَنا» أي أنّ أبا بكر (رض) أعتق بلالاً (رض) مؤذّن الرسول الأمين (ص).

[الآيات ١٧ ـ ٢٣]: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ دعاء على الكافر، فإنه لَيَستَحِقُّ القتلَ على شدة كفره وجحوده، ونكرانه لِنِعَم الله عليه، لماذا يتكبّر وهو مخلوق من أصلٍ متواضع زهيد، يستمدُّ كلَّ قيمة من فضل الله ونعمته، ومن تقديره وتدبيره. لقد خلقه الله من نطفة، فمرّت النطفة بأطوار كثيرة، في بطن الأم، ومرّ هو

بأطوار عدّة خارج بطنها، رضيعاً فطفلاً فشاباً فكهلاً فشيخاً. ثمّ يَسّر الله له سبيل الهداية، ومنحه العقل والإرادة، ومكّنه من القدرة على الاختيار، وعرّفه عاقبة كلّ عمل ونتيجته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان]، أي بيّنّا له الطريق ومنحناه القدرة على الاختيار، وبيّنّا له سبيل الهدى والضلال، فإمّا أن يشكر ربه ويمتثل لأمره، وإمّا أن يكفر بِنِعَمِه ويخالف أمره؛ حتّى إذا انتهت حياة الإنسان سلَبَ الله روحه، ومنّ عليه بالموت وهو نعمة كبرى، ولولا الموت لأكل الناس بعضهم بعضاً، ولضاقت الأرض بمن عليها. ومن نعم الله أن شَرّع دفن الميت، وحفظه في باطن الأرض، حتّى لا يترك على ظهرها للجوارح والكواسر.

ومن نِعَم الله، أيضاً، أن يبعث الموتى، وينشرهم ويخرجهم من قبورهم، لمكافأة الطائع ومعاقبة العاصي.

عجباً للإنسان الجاحد، فإنه بالرغم من النعم الظاهرة والباطنة، التي أحاطه الله تعالى بها، لم يمتثل ما أمره به.

[الآيات ٢٤ ـ ٣٣]: فليتأمل الانسان تدبير الله، لإمداده بأسباب الحياة والنموّ، ولينظر إلى ألصق شيء إليه، وألزم شيء له، وهو الطّعام، كيف يسّر الله الحصول عليه؛ فقد أنزل له سبحانه المطر من السماء، فانتفعت به الأرض، وانشقّت عنه ثمانية أنواع من النبات هي:

١ ـ الحَبّ كالحنطة والشعير والأرز.

٢ ـ العنب والفاكهة.

٣ ـ القَضْب، وهو ما يؤكل من النبات رَطْباً وغَضاً طرِيّاً.

٤ و ٥ ـ الزيتون والنخل، وفيهما من القيمة الغذائية الشيء الكثير، والبلح طعام الفقير وحلوى الغنيّ، وزاد المسافر والمقيم.

٦ ـ بساتين ذات أشجار ضخمة مثمرة، وذات حوائط تحيط بها، ﴿غُلْبًا ۝٣٠﴾ جمع غَلْباء أي ضخمة عظيمة، ملتفّة الأشجار.

٧ ـ وفاكهة يتمتّع الإنسان بأكلها، كالتّين والتّفاح والخوخ وغيرها.

٨ ـ والأَبُّ، أي مرعى الحيوان خاصة.

تلك قصّة الطّعام الذي أنبتته يد

القدرة، ويسّرت لذلك المطر والرياح والشمس والهواء، وعديداً من العوامل والأسرار الخفيّة، حتّى قضيّة النبات، فيتمتّع بأكله الإنسان والحيوان.

[الآيات ٣٣ ـ ٤٢]: فإذا جاءت القيامة التي تَصُخُّ الآذان بسماع أهوالها، في ذلك اليوم يشتدّ الهول، وينشغل الإنسان بنفسه عن أقرب الناس إليه، ويَفِرُّ من أخيه، وأمّه وأبيه، وزوجتِهِ وبنيه؛ لقد اشتدّ الفزع النفسيّ ففرّ الإنسان ممّن يفديهم بنفسه في الدّار الدّنيا، وقد شغله خوف الحساب، ومشاهد القيامة، ومظهر البعث والحشر والجزاء، عن كلّ شيء.

في ذلك اليوم، ترى وجوهاً مستنيرةً مشرقةً، ترجو ثوابَ ربّها، مطمئنّة بما تستشعره من رضاه عنها؛ وترى وجوهاً أخرى، يغشاها غَبَرَةُ الحزن والحسرة، ويعلوها سواد الذلّ والانقباض، هؤلاء هم الذين جحدوا آيات ربّهم، ولم يؤمنوا بالله ورسله، وانتهكوا الحرمات، وتعدّوا حدود الله، فاستحقّوا كلمة العذاب.

مقاصد السورة

١ ـ عتاب الرسول (ص) على ما حدث منه مع ابن أمّ مكتوم الأعمى.

٢ ـ ذكر شرف القرآن، وبيان أنه موعظة لمن عَقَلَ وتدبّر.

٣ ـ إقامة الأدلّة على وحدانية الله، بخلق الإنسان، والنظر في طعامه وشرابه.

٤ ـ أهوال يوم القيامة.

٥ ـ انقسام النّاس في الآخرة إلى سعداء وأشقياء.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «عَبَسَ»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة «عَبَسَ» بعد سورة النجم، ونزلت سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة عبس في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ②﴾. وتبلغ آياتها اثنتين وأربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة، التسوية بين الناس في الدعوة، وكان عبد الله بن أم مكتوم أتى النبيّ (ص) وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فطلب منه أن يُقْرئه ويعلّمه ممّا علّمه الله، فعبس وأعرض عنه لِقَطْعِه كلامه، فنزلت هذه السورة عتاباً له، وقد انتقل فيها من عتابه إلى سياق الترهيب والترغيب، فوافقت في هذا سياق سورة النازعات، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

التسوية بين الناس في الدعوة
الآيات [١ ـ ٤٢]

قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ②﴾ فذكر سبحانه أن الرسول (ص) عبس للأعمى ولعلّه ينتفع بما يعظه به، وأنه تصدّى لمن استغنى فأبطره غناه وأطغاه وليس عليه

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

شيء من أمره، وأعرض عمّن سعى إليه وهو يخشى ربه، ثمّ زجره عن العود إليه لأنه ليس عليه إلاّ أن يبلّغ ويُذكّر؛ فمن شاء أن يتذكّر ذكَرهُ في صحف مكرّمة، ومن لم يشأ ذلك فلا قيمة له، وإن بلغ في الغنى ما بلغ. ثمّ عجب ممّن كفر من أولئك الصناديد واغترّ بغناه وهو لا يدري أنه خلقه من نطفة قذرة، فقدّره ويسّر له الخروج من الرّحم، ثمّ أماته فأقبره وصيّره إلى جيفة مَذِرَة، ثمّ إذا شاء أنشره، وحاسبه على طغيانه وتكبّره؛ فما أحقه أن يرتدع عن ذلك، وهو لمّا يقض شيئاً ممّا أمره؛ ثم أمر الواحد منهم أن ينظر إلى طعامه الذي أبطره، فإنّه لم يحصل إلاّ بعد أن صبّ الله المطر وشقّ الأرض، فأنبت فيها حبّاً وعنباً وغيرهما، ممّا هو متاع لهم ولأنعامهم؛ فإذا جاءت الصّاخّة (القيامة)، يوم يَفِرُّ المرء من أهله الذين كان يعتزّ بهم في دنياه، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «عَبَسَ»(*)

أقول: وجه وضعها عقب النازعات مع تآخيهما في المقطع، لقوله تعالى هناك: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات/ ٣٤]. وقوله سبحانه هنا: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾. وهما من أسماء يوم القيامة(*).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(*) لم يذكر المؤلف سرّ الترتيب، ونقول: إنّ الطّامة من الطَّمّ، من طمّ البئر، إذا غمرَها؛ وسميت به القيامة لأنها تَطُمّ كل شيء. والصّاخة من الصَّخ، وهو الصوت الشديد، وسميت به لأنه بشدة صوتها يجثو لها الناس. وخُصّت «النازعات» بالطَّمّ لأنه قبل الصَّخ، فكانت «عبس» لاحقة للنازعات بطبعها. انظر (أسرار التكرار في القرآن ٢٠١).



مكنونات سورة «عَبَسَ»(*)

١ - ﴿ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾.

هو عبدُ اللهِ بنُ أمِّ مكتوم، كما أخرجَهُ التِّرمِذِي والحاكمُ عن عائشة رضي الله عنها[١].

٢ - ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾.

هو أُميّة بنُ خلف. أخرجه ابنُ أبي حاتِم عن قَتادة وعن مُجاهِد.

وأخرجَ مِنْ وَجْهٍ آخر عن مُجاهِد: أنه عُتْبَة بن رَبِيعَة[٢].

وأخرج من طريق العَوفي، عن ابنِ عبّاس: أنَّهُ عتبة، وأبو جَهْل، والعبّاس بن عبد المطلب[٣].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) الترمذي (٣٣٢٨) وقال: حسن غريب، والحاكم ٢/ ٥١٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة من هشام بن عروة، قال الذهبي: وهو الصواب.

(٢) رواية مجاهد في «الطبري» ٣٠/ ٣٤ جاءت بزيادة: «وشيبة بن ربيعة».

(٣) إسناده ضعيف.



لغة التنزيل في سورة «عَبَسَ»(*)

١ ـ وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾.

والأبُّ المرعى لأنه يُؤَبُّ، أي: يُؤَمُّ ويُنْتَجَع.

قال الزمخشري:(*)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سُئِل عن الأبّ فقال: أيُّ سماء تُظلّني، وأي أرضٍ تقلّني إذا قلت في كتاب الله مالا علم لي به؟

وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟

ثم رفض عصاً كانت بيده وقال: هذا لَعَمْرُ الله التكلّف، وما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأبُّ، ثم قال: اتبعوا ما تَبيّن لكم من هذا الكتاب، وما لا، فدعوه.

فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبّع معاني القرآن، والبحث عن مشكلاته.

قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكنّ القوم أكبر همتهم عاكفة على العمل، ولكن التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلّفاً عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه، واستدعاء شكره، وقد عُلِمَ من فحوى الآية أنّ الأبّ بعض ما أنبته الله للإنسان متاعاً له، أو لأنعامه؛ فعليك بما هو أهم، من النهوض بالشكر لله على ما تبيّن لك، ولم يشكل، ممّا عدّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ، ومعرفة النبات الخاص الذي هو

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

(*) الكشاف: ٤/٧٠٤ ـ ٧٠٥.

اسم له، واكتفِ بالمعرفة الجمليّة إلى أن يتبيّن لك في غير هذا الوقت.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾.

وُصفت النفخة بـ «الصّاخّة» مجازاً لأن الناس يصخّون لها أي: يُصيخُون.

وهذا من باب أن المضاعف والأجوف من مادة واحدة، ولعل المضاعف أصل.



المعاني اللغوية في سورة «عَبَسَ»(*)

قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ وواحدهم «السّافِر» مثل «الكافِر» و«الكَفَرة».

وقال سبحانه: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ وواحدهم «البارّ» و«البَرَرةُ» جماعة «الأبرار».

وقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧﴾ معناه على وجهين: قال بعضهم: «على التعجّب»، وقال بعضهم: «أيُّ شَيءٍ أكْفَرَهُ»؟

قال تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠﴾ تقول «الطريقَ هَدَاهُ» أي: «هداهُ الطريقَ».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.



المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «عبس»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾، ولم يقل «ذكرها»؟

قلنا: الضمير المؤنث لآيات القرآن أو لهذه السورة، والضمير في قوله تعالى ﴿ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ راجع إلى القرآن. وقيل راجع إلى معنى التذكرة وهو الوعظ والتذكير لا إلى لفظها.

فإن قيل: في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ رُوِي أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الآية وقال: كل هذا قد عرفناه فما الأبّ؟ ثم قال: هذا لَعَمْرُ الله التكلّف، وما عليك يا عمر أن لاتدري ما الأبّ، ثم قال: اتبعوا ما تبيّن لكم من هذا الكتاب، وما لا، فدعوه؛ وهذا شبيه النهي عن تتبّع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته؟

قلنا: لم يرد بقوله ماذكرت، ولكنّ الصحابة رضي الله عنهم كانت أكثر هممهم عاكفة على العمل؛ وكان الاشتغال بعلم لا يُعمل به تكلّفاً عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه، واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أن الأبّ بعض ما أنبَتَه الله تعالى للإنسان متاعاً له ولأنعامه، فكأنه قال: عليك بما هو الأهم، فالأهم، وهو الشكر على ما تبيّن لك ولم يُشْكِلْ، ممّا عدد من نعمه تعالى، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ معرفة النبات الخاص، واكتف بمعرفته منه جملة إلى

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

أن يتبين لك في وقت آخر. وعن أبي بكر الصِّدِّيق رضِيَ الله عنه، أنه سئل عن الأبّ فقال: أيّ سماء تُظِلُّني وأيّ أرض تُقِلّني إذا قلت في كتاب الله بما لا علم لي به. وأكثر المفسّرين قالوا: الأبّ كل ما ترعاه البهائم.

سورة التّكوير

۸۱


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «التكوير»(*)

سورة التكوير سورة مكية. آياتها ٢٩ آية نزلت بعد سورة المسد، وتشتمل على ثروة ضخمة من المشاهد، حينما تنتهي الحياة، ويختلّ نظامها، وينفرط عقد الكون، وتتناثر أجزاؤه، ويذهب عنه التماسك الموزون، والحركة المضبوطة، والصنعة المتينة.

والسورة تشتمل على مقطعين اثنين، تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة.

الأولى: حقيقة القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كونيّ هائل كامل، يشمل الشمس والنجوم، والجبال والبحار، والأرض والسماء، والأنعام والوحوش، كما يشمل بني الإنسان.

والثانية: حقيقة الوحي، وما يتعلّق به من صفة المَلَك الذي يحمله، وصفة النبي (ص) الذي يتلقّاه، ثمّ شأن المخاطبين بهذا الوحي معه، ومع المشيئة الكبرى التي فطرتهم، وأنزلت لهم الوحي.

مع آيات السورة

بدأ سبحانه هذه السورة الكريمة بذكر يوم القيامة، وما يكون فيه من أحداث هائلة؛ وحينما تقع هذه الأحداث تعلم كل نفس ما قدّمت من عمل، خيراً كان أو شراً.

[الآية ١]: إذا كورت الشمس وسقطت وتدهورت، وانطفأت شعلتها، وانكمشت ألسنتها الملتهبة، وذهب ضوؤها، واختلّ نظام الكون.

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

[الآية ٢]: وإذا تناثرت النجوم، وأظلم نورها، وذهب لألاؤها.

[الآية ٣]: وإذا انفصلت الجبال عن الأرض، وسارت في الجوّ كما يسير السحاب، وتبع ذلك نسفها وبسّها وتذريتها في الهواء، كما جاء في سور أخرى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه].

[الآية ٤]: وإذا تُركَت العِشارُ وأهملت، و (العشار): هي النوق الحُبالى في شهرها العاشر، وهي أجود ما يملكه العربي وأثمنه؛ فإذا انشغل الناس عنها بأهوال القيامة عُطّلت وأُهملت.

[الآية ٥]: وإذا اجتمعت الوحوش الكاسرة، ذليلة هادئة قد نسيت غريزتها، مضت هائمة على وجوهها لا تأوي إلى جحورها، ولا تنطلق وراء فرائسها، وقد حشرها هول الموقف ذاهلة متغيّرة الطباع، فكيف بالناس في ذلك اليوم العصيب؟

[الآية ٦]: وإذا التهبت البحار وامتلأت ناراً، أو فجّرت الزلازل ما بينها حتى اختلطت وعادت بحراً واحداً.

[الآية ٧]: وإذا اقترنت الأرواح بأبدانها، أو إذا قرن كلّ شبيه بشبيهه، وضمّت كلّ جماعة من الأرواح المتجانسة في مجموعة.

[الآيتان ٨ و٩]: وإذا سئلت الموؤدة بين يدي قاتلها عن الذنب الذي قُتِلت به، ليكون جوابها أشدّ وقعاً على الوائد، فإنها ستجيب أنها قُتِلت بلا ذنب جنته.

وكان الوأد عند العرب الجاهليين يجري بصورة قاسية، اذ كانت تدفن البنت حية، أو تجلس المرأة عند المخاض فوق بئر محفورة؛ فإذا كان المولود بنتاً، رمت بها فيها وردمتها؛ وإن كان ذكراً، قامت به معها؛ وبعضهم كان إذا عزم على استبقاء ابنته، فإنه يمسكها إلى أن تقدر على الرعي، ثمّ يُلبسها جبةً من صوف أو شعر، ويرسلها الى البادية ترعى له إبله؛ فلمّا جاء الاسلام سما بالمرأة وكرّمها، وليدة، وناشئة، وزوجة، وأمًّا. حرّم وأد البنات، وشفع ذلك بالتشنيع على من يفعله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن

﴿سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

[الآية ١٠]: وإذا نُشرت صحف الأعمال، وكُشِفَت وعُرِفَت، فلم تعد مستورة بل صارت منشورة مشهورة.

[الآية ١١]: وإذا السماء كُشِطَتْ وأزيلت، فلم يبق غطاء ولا سماء.

[الآيتان ١٢ و١٣]: وإذا أوقدت النار، واشتد لهيبها، ووهجها وحرارتها؛ وإذا أدنيت الجنة من المتقين، تكريماً وإيناساً لهم.

[الآية ١٤]: عندما تقع هذه الأحداث الهائلة في كيان الكون، وفي أحوال الأحياء والأشياء، تَعلَم كل نفس ما قدّمت من خير أو شر، وما تزوّدت به لهذا اليوم وما حملت معها للعرض، وما أَحْضَرَت للحساب. وهي لا تستطيع أن تغيّر فيه ولا أن تبدّل، فالدنيا عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.

وهنا ينتهي المقطع الأول من السورة، وقد امتلأ الحس، وفاض، بمشاهد اليوم الذي يحصل فيه هذا الانقلاب.

المقطع الثاني

بعد أن ذكرت السورة من أحوال القيامة وأهوالها ما ذكرت، أتْبَعَتْ ذلك ببيان أن ما يحدّثهم به الرسول (ص)، هو القرآن الذي أُنزِل عليه؛ وهو آيات بيّنات من الهدى؛ وأنّ ما رميتموه به من المعايب كقولكم: إنه ساحر أو مجنون، أو كذّاب، أو شاعر، ما هو إلاّ محض افتراء.

[الآيتان ١٥ و١٦]: يقسم الله تعالى قَسَماً مؤكداً بالكواكب، ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾: التي تخنس أي ترجع في دورتها الفلكية، ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾: التي تجري وتعود الى أماكنها.

[الآية ١٧]: والليل اذا أدبر وولّى، وزالت ظلمته، أو اذا أقبل ظلامه.

[الآية ١٨]: والصبح إذا أسفر، وظهر نوره، وفي ذلك بشرى للأنفس، بحياة جديدة في نهار جديد؛ ومن الجمال في هذا التعبير إضفاء الحياة على النهار والوليد؛ فاذا الصبح حيّ يتنفس.

«وأكاد اجزم أن اللغة العربية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح: رؤية الفجر تكاد تُشعر القلب المتفتّح

أنه بالفعل يتنفس، ثم يجيء هذا التعبير، فيصّور هذه الحقيقة التي يشعر بها»(*).

[الآيات ١٩ ـ ٢٢]: وجواب القسم: أنّ هذا القرآن، وهذا الوصف لليوم الآخر إنما هو قَوْلُ رسول كريم، وهو جبريل (ع) الذي حمل هذا القول وأبلغه، فصار قوله باعتبار تبليغه. ويذكر صفة هذا الرسول الذي اختير لحمل هذا القول وإبلاغه، فينعته بخمسة أوصاف هي:

١ ـ ﴿كَرِيمٍ ۝١٩﴾ أي عزيز على ربّه.

٢ ـ ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [الآية ٢٠] في الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ.

٣ ـ ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ أي ذي جاه ومنزلة عند ربّه.

٤ ـ ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ [الآية ٢١] أي هناك في الملأ الأعلى، عند الله في ملائكته المقرّبين؛ فهم يَصْدُرون عن أمره ويرجعون اليه.

٥ ـ ﴿أَمِينٍ ۝٢١﴾ على وحي ربّه ورسالاته، قد عصمه تعالى من الخيانة فيما يأمره به، وجنّبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال.

هذه صفة الرسول المبلِّغ وهو جبريل عليه السلام، أمّا الرسول الذي حمله إليكم وخاطبكم بالقرآن، فهو صاحبكم الذي عرفتموه حق المعرفة عمراً طويلاً، وعرفتم عنه الصدق والأمانة، وليس مجنوناً كما تدّعون.

[الآية ٢٣]: ولقد رأى سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، جبريل عليه السلام، وهو بالأفق الأعلى، عند سِدْرَةِ المنتهى بالأفق المبين، أي رآه رؤية واضحة عند الأفق الواضح.

[الآية ٢٤]: وليس محمد (ص) بالمتّهم على القرآن، وما فيه من قصص وأنباء وأحكام؛ بل هو ثقة أمين لا يأتي به من عند نفسه، ولا يبدّل منه حرفاً بحرف، ولا معنًى بمعنًى، إذ لم يُعرف عنه الكذب في ماضي حياته، فهو غير متّهم في ما يحكيه عن رؤية جبريل (ع)، وسماع الشرائع منه.

[الآية ٢٥]: وليس القرآن قول شيطان، ألقاه على لسان محمد (ص) حين خالط عقله كما تزعمون، فالشياطين لا توحي بهذا النهج القويم.

(*) سيد قطب، في ظلال القرآن ٣٠/ ٤٨٢.

[الآية ٢٦]: ثم يسألهم مستنكراً: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾؟ أيْ: فأيَ سبيل تسلكونها، وقد سُدّت عليكم السبل، وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم، وبَطَلَتْ مفترياتكم فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها.

[الآية ٢٧]: ثم بيّن حقيقة القرآن، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧﴾، أي ليس القرآن إلاّ عظة للخلق كافّة، يتذكّرون بها ماغرز في طباعهم من حبّ الخير، وهو ذكر يستحضرهم حقيقة نشأتهم، وحقيقة وجودهم، وحقيقة الكون من حولهم، وهو أعظم عظة للعالمين جميعاً.

[الآيتان ٢٨ و٢٩]: وإنّ على مشيئة المكلّف تتوقّف الهداية، فمن أراد الحق واتّجه بقلبه إلى الطريق القويم، هداه الله إليه ويسّر له أمره، وأمدّه بالعون والتوفيق. وبذلك يستقرّ في قلب كل إنسان، أنّ مشيئته طرف وخيط، راجع في أصله إلى مشيئة الله الكبرى، وإرادته المطلقة، فليلجأ كل إنسان إلى ساحة مولاه، وإلى عناية خالقه، فعنده سبحانه العون والتوفيق، والهدى والسداد: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾.

موضوعات السورة

١ ـ وصف أهوال القيامة.

٢ - القَسَم بالنجوم وبالليل وبالصبح، على أنّ القرآن مُنزّل من عند الله، بواسطة ملائكته.

٣ ـ إثبات نبوّة محمد (ص).

٤ ـ بيان أن القرآن عظة وذكر، لمن أراد الهداية.

٥ ـ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، وليس لها استقلال بالعمل.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «التكوير»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة التّكوير بعد سورة المَسَد، ونزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة، ونزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة التكوير في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة: إثبات الحساب على الأعمال، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب؛ وبهذا يكون سياقها أيضاً في الترهيب والترغيب، ويكون ذكرها بعد السورة السابقة، لموافقتها لها في هذا السياق.

إثبات الحساب على الأعمال الآيات [١ ـ ٢٩]

ذكر تعالى أنه إذا حصل تكوير الشمس، وما ذَكَرَه بعد التكوير مما يكون يوم القيامة، تعلم كل نفس ما أحْضَرَت من خير أو شرّ، فتُحاسب عليه وهو حاضر أمامها؛ ثم أقسم سبحانه بالنجوم الخُنّس وما ذكر معها، على أن أمر هذا الحساب قول رسول كريم هو «جبريل» (ع)؛ وذكر أن صاحبهم محمداً (ص) ليس بمجنون،

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

وأنه رأى «جبريل» بالأفق المبين، وأنه غير متّهم في ما أخبرهم به من ذلك الحساب، وأن ما أخبرهم به منه ليس بقول شيطان رجيم، فأين يذهبون مع هذا كلّه عنه؛ ثم ذكر سبحانه أنّ هذا ليس إلاّ تذكرة وهداية لمن شاء منهم أن يستقيم: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٩)﴾.



أسرار ترتيب سورة «التكوير»(*)

أقول: لمّا ذكر في عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾، ذكر يوم القيامة كأنه رأيُ العين. وفي الحديث: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار]. و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[الانشقاق](*).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(*) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٧٢، والترمذي في التفسير ٩/ ٢٥٢، ٢٥٣ بتحفة الأحوذي.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «التكوير»[*]

١ ـ ﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾.

أخرج ابنُ أبي حاتِم عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

هي خمسة أنجم: زحل، وعطارد، والمشتري، وبهرام[١]، والزهرة؛ ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرُها.

وأخرج عن ابن مسعود قال: هي بقر الوحش.

وعن سعيد بن جُبير قال: هي الظِّباء[٢].

٢ ـ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قال الضَّحَّاك، والرَّبيع، والسُّدِّي، وغيرهم: جبريل (ع) أخرجه ابنُ أبي حاتم[٣].

وقال آخرون: هو محمد (ص).

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) «تاج العروس» ٨/٢٠٨، وهو اسم للمرّيخ.

(٢) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٠/٤٩: وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ الله ـ تعالى ذِكْرُه، أقسم بأشياء تخنس أحياناً ـ أي تغيب ـ وتجري أحياناً وتَكْنِس أخرى، وكنوسها أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها مَكْنِس وكِناس». ثم قال أيضاً: «وغير منكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء؛ فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أنّ المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يعمّ بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً، والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف، جَلَّ ثناؤه، من صفتها.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣٠/٥١ عن قتادة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «التكوير»(*)

١ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾.

وقرئ بالتخفيف: سُجِرت، وهو من سَجْر التنور إذا ملأته حطباً، والمعنى: وإذا البحار ملئت، وفُجِّرَ بعضها إلى بعض، حتى تعود بحراً واحداً.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾.

وقرأ ابن مسعود: قشطت، واعتقاب الكاف والقاف كثير.

والمعنى كُشفت وأزيلت.

أقول: والفعل مما نعرف الآن في العامية الدارجة، وليس في الفصيحة المعاصرة.

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾.

وعسعس الليل، وسعسع، إذا أدبر.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «التكوير»(*)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾، واحدتها «العُشَراء» مثل «النُفَسَاء» و «النِفاس» للجميع. قال الشاعر(١):

[من الرجز، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المئتين]:

رُبَّ شريبٍ لَكَ ذي حُسَاسِ
رِيَّانَ يَمْشِي مِشْيَةَ النُّفَاسِ

ويقال: «النُّفاسِ».

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ «وَأَدَهُ» «يَئِدُهُ» «وَأْداً» مثل «وَعَدَهُ» يَعِدُهُ» «وَعْداً» العين نحو الهمزة.

وقال تعالى: ﴿سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ وقرأ بعضهم (سَأَلَتْ)(٢) هي.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ لأنّ حرّها شُدِدَ عليهم. وقرأ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) لم تفد المراجع شيئاً عن القائل، أمّا الرجز فجاء المصراع الأول في المخصّص ١١/٩٨ وحده، وجاء مع مصراع آخر شاهد فيه هو:

شرابه كالحزّ في المواسي.

في الصحاح واللسان «حسس» واللسان والتاج «شرب».

(٢) في الطبري ٣٠/٧١ نسبت الى ابن الضحى (مسلم بن صبيح) وفي الشواذ ١٦٩ إلى الأمام علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عبّاس (رضي الله عنهم) وغيرهما عشرة من أصحاب رسول الله (ص)؛ وفي الجامع ١٩/٢٣٣ الى الضّحاك، وابن الضّحاك، عن جابر بن زيد، وأبي صالح؛ وفي البحر٨/٤٣٣ إلى الإمام علي بن ابي طالب، وابن مسعود، وابن عبّاس، وجابر بن زيد، وأبي الضحى، ومجالد، وأبي الربيع بن خيثم، وابن يعمر.

بعضهم[1] ﴿سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ خفيفة (سُعِرَت)[2].

وقال تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ فواحدها «كانِس» والجمع «كُنَّس» كما تقول: «عاطِل» و«عُطَّل».

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[3]: «أي: ببخيل» وقرأ بعضهم (بِظَنين)[4] أي: بمتَّهمٍ لأن بعضَ العربِ يقول «ظننت زيداً» فـ«هو ظنين» أي: أتَّهمتهُ فـ«هو متَّهَمٌ».

وقرأ بعضهم ﴿سُجِّرَتْ﴾[5] وخَفَّفَها بعضهم[6]، واحتج بـ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور] والوجه التثقيل لأن ذلك إذا كسر جاء على هذا المثال؛ يقال «قُطِّعُوا» و«قُتِّلُوا» ولا يقال للواحد «قُطِّعَ» يعني يده ولا «قُتِّلَ».

---

(١) نسبت هذه القراءة في معاني القرآن ٣/ ٢٤١ إلى غير الأعمش وأصحابه، وفي الطبري ٣٠/ ٧٣ إلى عامة قرّاء المدينة، وفي السبعة ٦٧٣ إلى نافع، وابن عمر، وحفص، عن عاصم؛ وكذلك في البحر ٨/ ٤٣٤، وفي الكشف ٢/ ٣٦٣، والتيسير ٢٢٠، إلى نافع وحفص وابن ذكوان، وفي الجوامع ١٩/ ٢٢٥ أبدل بحفص رويساً.

(٢) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٤١ إلى الأعمش وأصحابه؛ وفي الطبري ٣٠/ ٧٣ إلى عامة قرّاء الكوفة؛ وفي السبعة ٦٧٣ الى ابن كثير، وأبي عمرو وحمزة، والكسائي، وأبي بكر، عن عاصم؛ وفي الكشف ٢/ ٣٦٣، والتيسير ٢٢٠، إلى غير نافع، وحفص، وابن ذكوان؛ وفي البحر ٨/ ٤٣٤ إلى الإمام علي، والسبعة ما عدا نافعاً وابن عامر وحفصاً.

(٣) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ الى عاصم، وأهل الحجاز، وزيد بن ثابت؛ وفي الطبري ٣٠/ ٨١ إلى عامة قرّاء المدينة والكوفة؛ وفي السبعة ٦٧٣ الى ابن مجاهد، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة؛ وفي الكشف ٢/ ٣٦٤ إلى غير ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي؛ وكذلك في التيسير ٢٢٠ وفي البحر ٨/ ٤٣٥ إلى عثمان، وابن عبّاس، والحسن، وأبي رجاء، والأعرج، وأبي جعفر، وشيبة.

(٤) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ إلى زربن بن حبيش، وفي الطبري ٣٠/ ٨١ إلى بعض المكّيين، وبعض البصريين؛ وفي السبعة ٦٧٣، والكشف ٢/ ٣٦٤، والتيسير ٢٢٠، والجامع ١٩/ ٢٤٢ الى ابن كثير وأبي عمرو والكسائي؛ وفي البحر ٨/ ٤٣٥ الى عبد الله، وابن عبّاس، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وابن الزبير، وعائشة، وعمر بن عبد العزيز، وابن جبير، وعروة، وهشام بن جندب، ومجاهد وغيرهم من السبعة.

(٥) نسبها الطبري ٣٠/ ٦٩ إلى عامة قرّاء المدينة والكوفة، ونسبت في السبعة ٦٧٣ إلى ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم، وأبي بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي؛ وفي الكشف ٢/ ٣٦٣، والتيسير ٢٢٠ إلى غير ابن كثير، وأبي عمرو؛ وفي البحر ٨/ ٤٣٢ إلى السبعة، عدا ابن كثير، وأبي عمرو.

(٦) في الطبري ٣٠/ ٦٩ إلى بعض قرّاء البصرة، وفي السبعة، والكشف ٢/ ٣٦٣، والتيسير ٢٢٠، والبحر ٨/ ٤٣٢ الى ابن كثير، وأبي عمرو.

لكل سؤال جواب في سورة «التكوير»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ والسؤال إنما يحسن للقاتل لا للمقتول؟

قلنا: إنّما سؤالها لتبكيت قاتلها، وتوبيخه بما تقوله من الجواب، فإنّها تقول: قتلت بغير ذنب؛ ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ [المائدة/١١٦] حتى قال، كما ورد في التنزيل: ﴿سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة ١١٦].

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ فأثبت العلم لنفس واحدة، مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران/٣٠]؟

قلنا: هذا ممّا أريد به عكس مدلوله، ومثله كثير في كلام الله تعالى وكلام العرب، كقوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ فإنّ ربّ هنا بمعنى كم للتكثير، وقوله تعالى حكاية عن موسى (ع) لقومه: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف/٥]؛ وقول الشاعر:

قد أتركُ القرن مُصفراً أناملهُ
كأنَّ أثوابهُ مُجَّتْ بفرصادِ[1]

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

(١) الفرصاد: ثمر التوت الأحمر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «التكوير»(*)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ استعارة. والمراد، والله أعلم، أنها سئلت، لا لاستخراج الجواب منها، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها. ويكون ذلك على جهة التوبيخ للقاتل إذ قَتَل مَن لا يُعربُ عن نفسه، ولم يَأتِ ذنباً يؤخذ بجريرته. وقيل معنى سُئِلت أي طُلب بدمها، كما يقول القائل: سألتُ فلاناً حقّي عليه، أي طالبته به.

وإنما سميت موؤودةً للثقل الذي يُلقى عليها من التراب، وتقول: آدَني هذا الأمر أي أثقلني. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ١٥٥] أي لا يُثقِله ذلك، كما يثقل أحدَنا في الشاهد حفظُ المتشعّبات وضبطُ المتشرات.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ استعارتان، فهما جميعاً في صفة النجوم. فأمّا الخُنّس فالمراد بها التي تخنس نهاراً، وتطلُع ليلاً. والخُنّس جمع خانِس، وهو الذي يقبَع ويستتر، ويخفى ويستتر. وأمّا الكنَّسُ فجمع كانس، وهو أيضاً المتواري المستخفي، مشبَّهاً بانضمام الوحشية إلى كناسها، وهو الموضع الذي تأوي إليه من ظلال شجر، وألفاف ثَمَر، وجمعه كُنُس.

فشبه سبحانه انقباع النجوم في بروجها، بتواري الوحوش في كُنُسها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

وهذه من الاستعارت العجيبة. والتنفّس هٰهنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسَق الليل. فكأنّه متنفِّس من كَرب، أو متروِّح من همٍّ. ومن ذلك قولهم: قد نُفِّس عن فلان الخناق. أي انجلى كربه، وانفسح قلبه. وقد يجوز أن يكون معنى ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي إذا انشقّ وانصدع. من قولهم تنفَّس الإناء إذا انشق، وتنفّست القوس إذا انصدعت. وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة. وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى، في كتابنا الكبير عند موضع اقتضى ذكره.





سورة الانفطار

۸۲


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الانفطار»(*)

سورة «الانفطار» سورة مكية، وآياتها ١٩، نزلت بعد «النازعات». وقد بدأت سورة «الانفطار»، مثل سورة «التكوير»، بالحديث عن أهوال القيامة، لكنّها تحدثت عنها بأسلوب مختصر، وإيقاع هادئ عميق، ويمكن تقسيم السورة الى ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى من بداية السورة إلى الآية الخامسة: وتتحدّث عن انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعثرة القبور؛ كحالات مصاحبة لعلم كل نفس بما قدّمت وأخّرت، في ذلك اليوم الخطير.

والفقرة الثانية من الآية ٦ إلى الآية ٨: وتبدأ بلمسة العتاب المبطّنة بالوعيد، لهذا الإنسان الذي يتلقّى من ربّه فُيوض النعمة في ذاته وخلقته، ولكنّه لا يعرف للنعمة حقّها، لا يعرف لربّه قدره، ولا يشكره على الفضل والنعمة والكرامة.

والفقرة الثالثة من الآية ٩ إلى الآية ١٩: تقرّر علة هذا الجحود والنكران، فهي التكذيب بالدين، أي بالحساب، وعن هذا التكذيب ينشأ كل سوء وكل جحود؛ ومن ثمّ تؤكد هذا الحساب توكيداً، وتؤكّد عاقبته وجزاءه المحتوم، وتصوّر ضخامة يوم الحساب وهوله، وتَجَرُّد النفوس من كل حول فيه، وتَفَرُّد الله سبحانه بأمره الجليل.

مع آيات السورة

تبدأ السورة بتصوير نهاية العالم

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

واختلال نظامه، وانفراط عقده، ويتمثل ذلك في أمرين عُلْويين وأمرين سُفْليين. أمّا الأمران العلويان، فهما انفطار السماء وانتثار الكواكب؛ وأمّا الأمران السفليان، فهما تفجير البحار وبعثرة القبور.

[الآية ١]: إذا انشقت السماء وتغيّر نظامها، فلم يبق نظام الكواكب على ما نرى، وهذا عند خراب العالم بأسره، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان].

[الآية ٢]: وفي هذا اليوم تتساقط الكواكب وتتفرّق ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾، أي تساقطت متفرّقة، والكواكب تجري الآن في أفلاكها بِسُرُعات هائلة، وهي مُمْسَكَةٌ في داخل مداراتها لا تتعدّاها، فإذا انشقّت السماء تَبِعَ ذلك سقوط الكواكب وانتثارها، وذهابها في الفضاء بَدَداً، كما تذهب الذرّة التي تَنْفَلِتُ من عِقالها.

[الآية ٣]: وفي هذا اليوم تزول الحواجز بين البحار، فيختلط العذب بالملح، وتغمر البحار اليابسة، وتطغى على الأنهار، كما يُحتمل أن يكون تفجيرها تحويل مائها إلى عنصريه: الأوكسجين والهيدروجين.

[الآيــة ٤]: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ أي أثيرت وقُلِبَ أعلاها أسفلها، وباطنها ظاهرها، ليخرج مَنْ فيها من الموتى أحياء للحساب والجزاء.

[الآية ٥]: عند حدوث كل هذه الظواهر، تعلم كل نفس ما قدّمت من الطاعات، وما أخّرت من الميراث.

[الآيــات ٦ ـ ٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ أي شيء خدعك حتّى ضيّعت ما أوجب عليك ربُّك، وصرت تقصّر في حقّه، وتتهاون في أمره، ويسوء أدبك في جانبه، وهو ربّك الكريم الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبرّه، فخلقك سويّاً، معتدل القامة، متناسب الخَلْق، من غير تفاوت فيه، «فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود»[1].

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ أي

(١) تفسير النسفي ٤/٢٥٣.

ركّبك في صورة هي من أعجب الصور وأتقنها وأحكمها، وقد كان قادراً أن يركّبك في أيّ صورة أخرى يشاؤها، فاختار لك هذه الصورة السويّة المعتدلة الجميلة.

وإنّ الانسان لَمخلوق جميل التكوين، سويّ الخلقة، معتدل التصميم؛ وإنّ عجائب الإبداع في خلقه، لَأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله؛ وإنّ الجمال والاعتدال لَيَظْهَرُ في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء، وهي تتناسق في كيانه بجمالٍ واستواء.

وهناك مؤلّفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنساني العضوي، ودقّته وإحكامه؛ وتؤكّد جلال القدرة المبدعة، التي أبدعت خلق الإنسان في أحسن تقويم، ويسّرت خلقه من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة، ثمّ سوّته خلقاً كاملاً ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٤].

«وهذه الأجهزة العامة لتكوين الإنسان الجسدي.. الجهاز العظمي، والجهاز العضلي، والجهاز الجلدي، والجهاز الهضمي، والجهاز الدموي، والجهاز التنفّسي، والجهاز التناسلي، والجهاز اللمفاوي، والجهاز العصبي، والجهاز البولي، وأجهزة الذوق والشمّ والسمع والبصر؛ كلٌ منها عجيبة، لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية، التي يقف الانسان مدهوشاً أمامها، وينسى عجائب ذاته، وهي أضخم وأعمق وأدق بمالا يقاس»[1].

وتقول مجلة العلوم الإنجليزية: «إنّ يد الانسان في مقدمة العجائب الطبيعيّة الفذّة، وإنه من الصعب جدّاً، بل من المستحيل أن تُبتكر آلة تضارع اليد البشرية، من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيُّف، فحينما تريد قراءة كتاب تتناوله بيدك، ثم تثبته في الوضع الملائم للقراءة، وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائياً، وحينما تقلّب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلّبها بها، ثمّ يزول الضغط بقلب الورقة واليد تمسك القلم وتكتب به، وتستعمل كافّة الآلات التي تلزم الإنسان من ملعقة إلى السّكّين، إلى آلة

---

(١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/ ٤٩١.

الكتابة، وتفتح النوافذ وتغلقها، وتحمل كلّ ما يريده الإنسان؛ واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة، وتِسْعَ عَشْرَة مجموعة من العضلات لكل منهما»[1].

«وإنّ جزءاً من أذن الإنسان (الأذن الوسطى) هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حَنِيَّة (قوس) دقيقة معقّدة، متدرّجة بنظام بالغ، في الحجم والشكل. ويمكن القول بأن هذه الحنيّات تشبه آلة موسيقية، ويبدو أنها معدّة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكلٍ ما، كل وقْع صوت أو ضجّة، من قصف الرعد إلى حفيف الشجر، فضلاً عن المزيج الرائع من أنغام كلّ اداة موسيقية في الأوركسترا ووحدتها المنسجمة»[2].

«ومركز حاسّة الإبصار في العين، التي تحتوي على مِائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء، وهي أطراف الأعصاب، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيها ليلاً ونهاراً، والذي تعتبر حركته لاإراديّة ليمنع عنها الأتربة والذّرات والأجسام الغريبة، كما يكسر من حدّة الشمس بما تلقي الأهداب على العين من ظلال، وحركة الجفن علاوة على هذه الوقاية، تمنع جفاف العين. أمّا السائل المحيط بالعين، والذي يعرف باسم الدموع، فهو أقوى مطهّر..»[3].

«وجهاز الذوق في الانسان هو اللسان، ويرجع عمله الى مجموعات من الخلايا الذوقيّة القائمة في حلمات غشائه المخاطي..».

«ويتكوّن الجهاز العصبي الذي يسيطر على الجسم سيطرة تامة من شُعيرات دقيقة، تمرّ في كافة أنحاء الجسم، وتتّصل بشعيرات أكبر منها، وهذه بالجهاز المركزي العصبي، فاذا ما تأثّر أيّ جزء في الجسم، نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المخ، حيث يمكنه أن يتصرّف..

«ونحن إذا نظرنا إلى الهضم على أنه عمليّة في معمل كيماوي، وإلى الطعام الذي نأكله على أنه موادُّ غُفْلٌ، فإنّنا

---

(١) تفسير في ظلال القرآن نقلاً عن كتاب: «الله والعلم الحديث» للأستاذ عبد الرزاق نوفل.

(٢) تفسير في ظلال القرآن نقلاً عن كتاب: «العلم يدعو إلى الإيمان».

(٣) تفسير في ظلال القرآن نقلاً عن كتاب: «الله والعلم الحديث».

ندرك توّاً أنه عملية عجيبة، إذ نهضم تقريباً كل شيء يؤكل ما عدا المعدة نفسها»[1].

وكلّ جهاز من أجهزة الانسان الأخرى يقال فيه الشيء الكثير، فالإدراك العقلي، واختزان المعلومات، والإدراك الروحي لجلال الله، كلّها تدلّ على سعة عطاء الله وحكمته، وكرمه وفضله على الإنسان.

[الآيات ٩ ـ ١٢]: كلّا: ارتدعوا عن الاغترار بكرم ربّكم لكم. بل تكذّبون بالحساب والمؤاخذة والجزاء، وهذه هي علّة الغرور وعلّة التقصير، وإنّه لَموكِلٌ بكم ملائكةً يحفظونكم، ويسجّلون أقوالكم وأعمالكم، ويُحصونها عليكم، وهؤلاء الملائكة كرام فلا تؤذوهم بما ينفّرهم من المعاصي؛ وإنّ الإنسان ليحتشم ويستحي وهو بمحضر الكرام، من أن يسفّ أو يتبذّل، في لفظ، أو كلمة، أو حركة، أو تصرّف؛ فكيف به حينما يشعر أنه في كلّ لحظاته، في حضرة حَفَظَةٍ من الملائكة، كرام لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الخصال أو الفعال؟. وهؤلاء الملائكة يكتبون كلّ شيء، ولا تخفى عليهم خافية من أعمالكم، فإنهم يعلمون ما تفعلون سرّاً أو علناً؛ والملائكة قوى من قوى الخير منهم الحَفَظَة والكَتَبَة، ومنهم من ينزل بالوحي على الرسل؛ وقد أمدهم الله سبحانه بقوّة خاصة، يستطيعون بها إنجاز ما يوكل إليهم من مهام. وليس علينا أن نبحث عن كُنْه هؤلاء الحَفَظَة، ولا عن كيفيّة كتابتهم لأعمالنا، ويكفي أن يشعر القلب البشريّ أنه غير متروك سُدَى، وأنّ عليه حفظة ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴿١١﴾﴾ يعلمون ما يفعله، ليرتعش ويستيقظ ويتأدّب. وهذا هو المقصود.

[الآية ١٣]: إنّ الأبرار صدقوا في إيمانهم بأداء ما فُرِضَ عليهم، واجتناب ما نُهوا عنه، سيكونون ممتّعين في نعيم الجنة.

وليس البرّ مقصوراً على الصلاة والصيام، ولكن البرّ عقيدة صادقة، وسلوك مستقيم، ويتمثل ذلك في القيام بالواجب، ومعاونة المحتاج، والاهتمام بأمر المسلمين، والحرص على نفع

---

(١) في ظلال القرآن: نقلا عن كتاب: «الله والعلم الحديث» مع التلخيص والتصرّف.

العباد، وكفّ الأذى، وصلة الرحم، وزيارة المريض، ومواساة البائس، وتعزية المحزون، والتخلّق بآداب الدّين.

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران].

[الآيات ١٤ ـ ١٦]: إنّ الفَجَرَةَ العصاة لفي نيران متأجّجة، يدخلونها يوم القيامة، بعد أن يحاسَبوا على كل صغيرة وكبيرة، وما هُمْ عن جهنّم بغائبين أبداً لخلودهم فيها.

[الآيات ١٧ ـ ١٩]: ولمّا كان يوم الدين هو موضوعَ التكذيب، فإنّ السياق يعود لتعظيمه وتضخيمه؛ يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ فهو فوق كلّ تصوّر، وفوق كلّ توقّع، وفوق كلّ مألوف؛ وتكرار السؤال يزيد في وصف الهول ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ أي ثمّ عجيب منك أن تتهاون بنبأ هذا اليوم، وهوله الشديد. هو يوم لا تستطيع نفس أن تنفع نفساً أخرى، فكلّ نفس بهمّها وحملها عن كل من تعرف من النفوس، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، فهو القاضي والمتصرّف فيه دون غيره.

مقاصد السورة

١ ـ وصف أهوال يوم القيامة.

٢ ـ تقصير الإنسان في مقابلة الإحسان بالشُكران.

٣ ـ بيان أعمال الإنسان، موكل بها كرام كاتبون.

٤ ـ بيان أن الناس في هذا اليوم: إمّا بَرَرَة منعمون، وإمّا فَجَرَة معذّبون.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانفطار»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الانفطار بعد سورة النازعات، ونزلت سورة النازعات بعد الإسراء، وقُبَيل الهجرة؛ فيكون نزول سورة الانفطار في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات الحساب على الأعمال، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب؛ فيكون الغرض المقصود منها هو الغرضَ المقصود من سورة التكوير، وهذا هو وجه المناسبة بين السورتين.

إثبات الحساب على الأعمال الآيات [١ ـ ١٩]

ذَكَرَ تعالى أنّه، إذا حصل انفطار السماء وما ذُكِرَ بعده، تَعْلَمُ كل نفس ما قدمت وأخرت من أعمالها، فتُثاب أو تعاقب عليه؛ ثم نادى الإنسان ما غَرَّهُ بكرمه، وجَرَّأه على معصيته، وهو الذي خلقه، فسوّاه فعدله، فركّبه في أحسن صورة، ثمّ زجره عن غروره؛ وذكر سبحانه أنّ هذا الإنسان يكذِّب بالحساب، مع أن عليه حافظين يكتبون ما يعمله؛ وأنه جَلَّ شأنه سيجازي الأبرار بالنعيم، والفُجّار بالجحيم؛ ثم

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

سأل سبحانه الإنسان عن يوم الحساب، سؤال تهويل ما أدراه ما هو؟ وأجاب عنه فقال جلّ وعلا: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الانفطار»(*)

أقول: قد عرف مما ذكرت وجه وضعها هنا، مع زيادة تآخيهما في المقطع(*).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(*) مقطع التكوير: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. ومقطع الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ وهما بمعنى.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني اللغوية في سورة «الانفطار»(*)

قال تعالى ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الآية ٧] أي: كذا خلقك، ومنهم من يثقّلها، فمن ثقّل[1] فقال: (عَدَّلَكَ)، فإنما على معنى «عَدَّلَ خَلْقَكَ»؛ و(عَدَلَكَ) أي: عَدَلَ بَعْضَك ببعضِك فجعلك مستوياً معتدلاً، وهو في معنى «عدّلك».

وقال تعالى: ﴿خَلَقَكَ﴾ [الآية ٧] و﴿رَكَّبَكَ﴾ [الآية ٨] ﴿كَلَّا﴾ [الآية ٩] وإن شئت قرأت: (خَلَقك) و(رَكّبك) (كَلاّ) فأدغمت لأنهما حرفان مثلان. والمثلان يدغم أحدهما في صاحبه، وإن شئت، إذا تحرّكا جميعاً، أن تسكّن الأول وتحرّك الآخر[2]. وإذا سكن الأول لم يكن الإدغام؛ وإن تحرك الأول وسكن الآخر، لم يكن الإدغام.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ [الآية ١٩] بجعل اليوم حيناً كأنه سبحانه، والله أعلم، حين قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ قال ما معناه:

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٤٤ إلى أهل الحجاز؛ وفي الطبري ٣٠/ ٨٧ إلى عامة قراء المدينة، ومكّة، والشام، والبصرة؛ وفي السبعة ٦٧٤ إلى ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر؛ وفي الكشف ٢/ ٣٦٤ و٢٢٠ إلى غير الكوفيين؛ و في الجامع ١٩/ ٢٤٦ إلى العامة؛ وفي اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، وفي البحر ٨/ ٤٣٧، إلى السبعة عدا من أخذ بالأخرى والقراءة بالتخفيف هي القراءة المثبتة في المصحف الشريف.

(٢) نسبت في السبعة ٦٧٤ إلى خارجة، عن نافع؛ وفي البحر ٨/ ٤٣٧ إلى خارجة عن نافع كأبي عمرو؛ ونسب إظهار الكافين في السبعة ٦٧٤، إلى غير خارجة عن نافع.

«في حين لا تَمْلِكُ نَفْسٌ». وقرأ بعضهم (يَوْمُ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ)[1] بجعله تفسيراً لليوم الأول، كأنّ المعنى: «هُو يوم لا تملك».



(١) نسبت في السبعة ٦٧٤، والتيسير ٢٢٠، والجامع ٢٤٩/١٩، إلى ابن كثير وأبي عمرو؛ وفي البحر ٤٣٧/٨، زاد ابن أبي إسحاق، وعيسى بن جندب.

لكل سؤال جواب في سورة «الانفطار»(*)

إن قيل: لأي فائدة تخصيص ذكر صفة الكرم، دون سائر صفاته، في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الآية ٦]؟

قلنا: قال بعضهم: إنّما قال تعالى ذلك لطفاً بعبده، وتلقيناً له حجته وعُذْرَه، ليقول: غرّني كرم الكريم. وقال الفضيل رحمه الله: لو سألني الله تعالى هذا السؤال لقلت: غرّني سُتورُك المرخاة؛ ورُوِي أن علياً كرم الله وجهه صاح بغلام له مرات فلم يلبّه، ثم أقبل فقال: مالك لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني عقوبتك؛ فاستحسن جوابه وأعتقه. ولهذا قالوا: من كرم الرجل، سوء أدب غلمانه. والحق أنّ الواجب على الإنسان أن لا يغترّ بكرم الله تعالى وجُودِهِ، في خلقه إيّاه، وإسباغه النعمة الظاهرة والباطنة عليه؛ فيعصيه ويكفر نعمته اغتراراً بتفضيله الأوّل، فإن ذلك أمر منكر خارج عن حدّ الحكمة، ولهذا قال رسول الله (ص)، لمّا قرأها: غرّه جهله. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: غرّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غرّه، والله، شيطانه الخبيث الذي زيّن له المعاصي، فقال له: افعل ماشئت، فإنّ ربّك كريم.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية ١٩] والنفوس المقبولة الشفاعة، تملك لمن شفعت فيه شيئاً، وهو الشفاعة؟

قلنا: المنفي ثبوت النصرة بالملك

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

والسلطنة، والشفاعة ليست بطريق الملك والسلطنة، فلا تدخل في النفي، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ وقال مقاتل: المراد بالنفس الثانية الكافرة، والأصحّ، والله أعلم، أنه على العموم في النفسين.



سورة المُطفّفِين

۸۳



أهداف سورة «المطفّفين»(*)

سورة المطفّفين سورة مكية آياتها ٣٦ آية، وهي آخر سورة نزلت في مكّة. وهي سورة تعالج طغيان الغني، واستغلال الفقراء، وتحارب تطفيف الكيل والميزان، وتبيّن أنّ صحف أعمال الفجّار في أسفل سافلين، وأنّ كتاب أعمال الأبرار في أعلى علّيين؛ كما وصفت السورة النعيم المقيم الذي يتمتّع به الأبرار في الجنّة، وبيّنت أن المجرمين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا؛ وفي يوم القيامة يتغيّر الحال، فيسخر المؤمن من الكافر، ويتمتّع المؤمن بألوان النعيم.

مقاطع السورة

تتألّف سورة المطفّفين من أربعة مقاطع، يبدأ المقطع الأول منها بإعلان الحرب على المطفّفين، وتهديدهم بالجزاء العادل، عند البعث والحساب [الآيات ١ ـ ٦].

ويتحدّث المقطع الثاني عن الفجّار في شدّةٍ وردع وزجر، وتهديدٍ بالويل والهلاك، ودمغ بالإثم والاعتداء وبيانٍ لسبب هذا العمى، وعلة هذا الانطماس، وتصويرٍ لجزائهم يوم القيامة، وعذابهم بالحجاب عن ربهم، كما حَجَبت الآثام في الأرض قلوبهم [الآيات ٧ ـ ١٧].

والمقطع الثالث يعرض الصفحة المقابلة، صفحة الأبرار، ورفعة مقامهم، والنعيم المقرر لهم، ونضرته التي تفيض على وجوههم، والرحيق

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الذي يشربون؛ وهم على الأرائك ينظرون، وهي صفحة ناعمة وضيئة. [الآيات ١٨ ـ ٢٨].

والمقطع الرابع يصف ما كان الأبرار يلقونه من استهزاء الفجار، وسخريتهم، وسوء أدبهم في دار الغرور؛ ثم يقابل ذلك بما لقيه المؤمنون من التكريم، وما لقيه المجرمون من عذاب الجحيم في يوم الدين. [الآيات ٢٩ ـ ٣٦].

من أسباب نزول السورة

كان تطفيف الكيل منتشراً في مكّة والمدينة، وهو يعبّر عن جشع التجار وطمعهم، ورغبتهم في بخس حق المشتري.

روي أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة، له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير، فكان اذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع والحبوب والثمار، اشترى بالكيل الكبير؛ وإذا باع للناس كال للمشتري بالكيل الصغير. هذا الرجل وأمثاله ممّن امتلأت نفوسهم بالطمع، واستولى عليهم الجشع والنهم، هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد، وهم الذين توعّدهم النبي (ص)، وتهدّدهم بقوله: «خمس بخمس، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قومٌ العهد إلاّ سلّط الله عليهم عدوّاً؛ وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فَشَا فيهم الفقر؛ وما ظهرت الفاحشة في قوم يتعامل بها علانية، إلاّ فشا الطاعون والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم؛ ولا طفّف قوم المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور الحكام؛ وما منع قوم الزكاة إلاّ حبس عنهم المطر».

مع آيات السورة

[الآية ١]: هلاك وعذاب عظيم لهؤلاء الذين يبخسون الكيل والميزان؛ والتطفيف، لُغَةً، التقليل، فالمطفّف هو المقلّل حق صاحبه بنقصانه، لأنّه لا يكاد يسرق في المكيال، والميزان، إلاّ الشيء اليسير الطفيف.

[الآية ٢]: إذا كان لهم عند الناس حقّ في شيء يُكال أو يوزن، وأرادوا أخذه منهم لا يأخذونه إلاّ تامًّا كاملاً.

[الآية ٣]: واذا كان للناس حقّ عندهم في مَكِيل أو موزون، أعطوهم ذلك الحق مع النقص والخسارة.

ويلحق بالمطفّفين كل عامل لا يؤدّي

عمله، وإنما يحرص على الأجر كاملاً، ويلحق بهم من يتسلَّم العمل كاملاً، ويبخس حقّ العامل أو يُنقِص أجره، وكذلك كل من يقصر في أداء واجبه. وعن ابن عباس «الكيل أمانة، والوزن أمانة، والصلاة أمانة، والزكاة أمانة، فمن وَفَى وَفَى له، ومن طفّف فقد علمتم ما قاله الله في المطفّفين».

[الآيتان ٤ ـ ٦]: ألا يخطر ببال هؤلاء أنّ هناك يوماً للبعث، تظهر فيه هذه الأعمال التي يُخفونها على الناس، وأنهم سيبعثون في هذا اليوم الشديد الأهوال، الذي يقوم فيه الناس من قبورهم لِيُعْرَضُوا على ربّ العالمين الذي خلقهم، ويعلم سرّهم وعلانيتهم.

[الآيات ٧ ـ ٩]: إن للشر سِجلاً دونت فيه أعمال الفجّار، وهو كتاب مسطور بيّن الكتابة. وهذا السّجلّ يشتمل عليه السجل الكبير المسمّى بسجّين؛ كما تقول إن كتاب حساب قرية كذا في السّجلّ الفلانيّ المشتمل على حسابها، وحساب غيرها من القرى.

والفجّار هم المتجاوزون للحدّ في المعصية والإثم؛ ولكلّ فاجر من هؤلاء الفجّار صحيفة؛ وهذه الصحائف في السِّجلّ العظيم المسمّى سِجّين، وهو عظيم الشأن وهو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ أي قد أُثبتت فيه العلامات الدالة على الأعمال.

[الآيات ١٠ ـ ١٣]: هلاك وعذاب عظيم لهؤلاء المكذِّبين، الذين يُكذّبون الرسول (ص)، ولا يؤمنون بيوم الحساب والجزاء، الذي أخبرهم به عن ربّ العالمين.

وما يكذّب بهذا اليوم، إلاّ من اعتدى على الحقّ، وعمي عن الإنصاف، واعتاد ارتكاب الآثام، والإعراض عن الحق والهدى، ولذلك إذا تليت عليه آيات القرآن، أو أخبار البعث والجزاء أنكرها، وقال هذه أباطيل السابقين.

[الآية ١٤]: ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يقولون ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ أي غطّى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية؛ والقلب الذي يتعوّد المعصية ينطمس ويظلم، ويرين عليه غطاء كثيف، يفقده الحساسية شيئاً فشيئاً، حتى يتبلّد ويموت.

روى التِّرمِذِيّ[1]، والنسائي، وابن ماجة: «أنّ العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع، واستغفر، وتاب، صقل قلبه؛ وإن عاد زِيدَ فيها، حتى تعلو، فهو الران، الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب يُعمي القلب فيموت.

ثم يذكر السياق شيئاً عن مصيرهم يوم القيامة، بقوله تعالى:

[الآيات ١٥ ـ ١٧]: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

فهم في يوم القيامة مطرودون من رحمة الله، محرومون من رؤيته في الآخرة، ثم إنّهم يَصْلَوْن عذابَ جهنّم، مع التأنيب والتقريع على تكذيبهم الحق، وإنكارهم البعث والجزاء؛ فيقال لهم: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[الآيات ١٨ ـ ٢١]: إن كتاب الأبرار محفوظ في سِجِلٍّ ممتاز في أعلى مكان في الجنّة، وما أعلمك ما هذا المكان، فهو أمر فوق العلم والإدراك، كتاب مسطور فيه أعمالهم، وهو موضع مشاهدة المقرّبين من الملائكة، ومتعتهم بما فيه من كرائم الأفعال والصفات.

[الآيات ٢٢ ـ ٢٨]: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ إنّ الأبرار المتّقين الذين يؤمنون بالله، ويعملون أنواع البر من القربات والطاعات، هؤلاء ينعمون بنعيم الجنة، وهم على الأسرّة في الحجال[2] ينظرون إلى ما أُعِدَّ لهم من النعيم؛ وترى على وجوههم آثار النعمة وبهجتها، يُسْقَوْنَ خمراً مختومة بالمسك، وهي لا تسكر كخمر الدنيا؛ وفي ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون، وليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة ربهم، باتّباع أوامره واجتناب نواهيه. وهذا الشراب المعدّ لهم ممزوج بشراب آخر ينصبّ عليهم من عين

(١) قال التِّرمِذِيّ حسن صحيح، وللحديث روايات أخرى بألفاظ قريبة في المعنى

(٢) الحجال: جمع حَجَلَة؛ والحَجَلَة ستر يضرب في جوف البيت.

عالية، يشرب منها المقربون إلى رضوان ربهم. وقد سئل ابن عبّاس عن هذا فقال: هذا ممّا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

«وقصارى ما سلف، أنّه، سبحانه، وصف النعيم الذي أعدّه للأبرار في دار كرامته بما تتطلع اليه النفوس، وبما يشوّقها اليه، ليكون حضاً للذين يعملون الصالحات على الاستزادة من العمل، والاستدامة عليه؛ وحثاً لهم المقصرين، واستنهاضاً لعزائمهم أن يحرصوا على التزوّد من العمل الصالح، ليكون لهم مثل ما لأولئك»[1].

[الآيات ٢٩ ـ ٣٣]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾: كانوا يضحكون منهم استهزاء بهم وسخرية منهم، إمّا لفقرهم ورثاثة حالهم، وإمّا لضعفهم عن ردّ الأذى، وإمّا لترفعهم عن سفاهة السفهاء؛ فكلّ هذا ممّا يثير ضحك الذين أجرموا، وهم يتّخذون المؤمنين مادّةً لسخريتهم، أو فكاهتهم المرذولة.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يغمز بعضهم لبعض بعينه، أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارف عليها بينهم للسخرية من المؤمنين، واذا انقلب هؤلاء الضالّون إلى أهلهم، ورجعوا إلى بيوتهم، رجعوا إليها فكهين ملتذّين بحكاية ما يعيبون به أهل الايمان، إذ يرمونهم بالسّخافة وقلّة العقل، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال؛ لأنهم نبذوا العقائد الفاسدة، وتركوا عبادة الأصنام. ولم يرسل الله، سبحانه، الكفّار رقباء على المؤمنين، ولا كلّفهم بمحاسبتهم على أفعالهم، فمالهم وهذا الوصف، وهذا التقرير.

روي أن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، جاء في نفر من المسلمين، فرآه بعض هؤلاء الكفّار، فسخروا منه وممّن معه، وضحكوا منهم، وتغامزوا بهم، ثمّ رجعوا إلى جماعتهم من أهل الشرك، فحدّثوهم بما صنعوا به، وبأصحابه.

والآيات ترسم مشهداً لسخرية

---

(١) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ط ٣، مصطفى البابي الحلبي، ٣٠/ ٨٢.

المجرمين من المؤمنين، وقد يكون لنزولها سبب خاص، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ ففي الآيات تعبير واقعي عن سخرية القويّ الفاجر من المؤمن الصابر، ممّا يدل على أن طبيعة الفجّار المجرمين واحدة، متشابهة، في موقفها من الأبرار، في جميع البيئات والعصور.

يقول الإمام محمد عبده: «من شأن القويّ المستعز بكثرة أتباعه وقدرته، أن يضحك ممن يخالفه في المَنْزَع، ويدعوه إلى غير ما يعرفه وهو أضعف منه قوّةً وأقلّ عدداً؛ كذلك كان شأن جماعة من قريش، كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأتباعهم؛ وهكذا يكون شأن أمثالهم في كلّ زمان متى عمّت البدع، وتفرّقت الشيع، وخفي طريق الحق بين طرق الباطل، وجهل معنى الدين، وأزهقت روحه من عباراته وأساليبه، ولم يبق الا ظواهر لا تطابقها البواطن»[1].

[الآيـات ٣٤ ـ ٣٦]: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي في يوم القيامة؛ والكفّار محجوبون عن ربهم، يقاسون ألم هذا الحجاب؛ يضحك المؤمنون، ضحك من وصل به يقينه الى مشاهدة الحق، فسرّ به؛ وينكشف للمؤمنين ما كانوا يرجون من إكرام الله لهم، وخذلان أعدائهم، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وهمّ على سررهم في الجنة ينظرون إلى صنع الله بأعدائهم، وإذلاله لمن كان يفخر عليهم، وتنكيله بمن كان يهزأ بهم، جزاءً وِفاقاً. ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾؟ أي أنهم ينظرون ليتحققوا: هل جوزي الكفّار، بما كانوا يفعلون بهم في الدنيا؛ وإنما سمّي الجزاء على العمل ثواباً، لأنه يرجع الى صاحبه نظير ما عمل من خير أو شر.

و(ثُوِّبَ) مثل أثاب، بمعنى جازى، يقع في الخير وفي الشر، وإن كان قد غلب الثواب في الخير. أي هل جوزي الكفّار بما كانوا يفعلون؟

مقاصد السورة

١ ـ وعيد المطففين.

(١) تفسير جزء عمّ، للأستاذ الإمام محمد عبده، الطبعة السادسة، مطابع الشعب، ص ٣٧.

٢ ـ بيان أن صحائف أعمال الفجّار في أسفل سافلين.

٣ ـ الإرشاد إلى أنّ صحائف أعمال الأبرار في أعلى عِلّيّين.

٤ ـ وصف نعيم الأبرار، في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم.

٥ ـ استهزاء المجرمين بالمؤمنين في الدنيا.

٦ ـ تضاحك المؤمنين منهم يوم القيامة.

٧ ـ نظر المؤمنين إلى المجرمين وهم يلقون جزاءهم وما أُعِدّ لهم من النّكال.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «المطفّفين»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة المطفّفين بعد سورة العنكبوت، وهي آخر سورة نزلت بمكّة، فيكون نزولها بعد الإسراء وقُبَيل الهجرة.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ وتبلغ آياتها ستاً وثلاثين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تحريم التّطفيف في المكيال والميزان، وإنذار من يفعل ذلك، بأنه مبعوث لحسابٍ لا تساهل فيه بتطفيفٍ أو نحوه. وبهذا سار سياقها في الترهيب كما سارت السورة قبلها، وهذا هو وجه ذكرها بعدها.

تحريم التطفيف
الآيات [١ ـ ٣٦]

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ فأنذر المطفّفين بالويل؛ وذكر سبحانه أنهم الذين يستوفون إذا اكتالوا على الناس، وإذا كالوهم أو وَزَنُوهم يُنْقِصُون؛ والتطفيف البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخُفْيَة؛ ثمّ أنذرهم جلّ وعلا بأنهم مبعوثون ليوم عظيم، وبأن كتاب أعمالهم في سِجِّين، وهي الأرض السّفلى؛ فإذا أتى هذا اليوم، فويلٌ لهم

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

على تكذيبهم به... إلخ؛ ثم انتقل السياق من هذا الترهيب إلى الترغيب، بِذِكرِ أنّ كتاب الأبرار في عِلّيِّين، وهي السماء السابعة؛ وذكر تعالى ما ذكر ممّا أعده لهم؛ ثمّ ذكر أنّ أولئك المجرمين، كانوا يضحكون من هؤلاء الأبرار في الدنيا، وأنّ هؤلاء الأبرار يضحكون منهم في الآخرة، وهم على الأرائك ينظرون: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.



أسرار ترتيب سورة «المطفّفين»(*)

أقول: الفصل بهذه السورة، بين الانفطار والانشقاق، التي هي نظيرتها من خمسة أوجه: الافتتاح بـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ﴾ [الانفطار/١] والتخلص بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ [الانفطار/٦]، وشرح حال يوم القيامة؛ ولهذا ضمّت بالحديث السابق، والتناسب في المقدار، وكونها مكّيّة.

وهذه السورة مدنيّة، ومفتتحها ومخلَصها غير مآلها، لنكتة ألهمنيها الله. وذلك أن السور الأربع، لمّا كانت في صفة حال يوم القيامة، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه.

فغالب ما وقع في التكوير، وجميع ما وقع في الانفطار، وقع في صدر يوم القيامة، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل، ومقاساة العرق والأهوال، فذكره في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾. ولهذا ورد في الحديث: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[1].

ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى، فتنشر الكتب، فأخذ باليمين، وأخذ بالشمال، وأخذ من وراء الظهر، ثم بعد ذلك يقع الحساب.

هكذا وردت بهذا الترتيب الأحاديث؛ فناسب تأخير سورة الانشقاق التي فيها إتيان الكتب

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٦/٢٠٧ عن ابن عمر، وأحمد في المسند مع اختلاف في اللفظ ٢/١٣، ١٩؛ وعلى المطابقة ٢/٣١.

والحساب[1]، عن السورة التي قبلها، والتي فيها ذكر الموقف عن التي فيها مبادئ يوم القيامة.

ووجه آخر، وهو: أنه جلّ جلاله لما قال في الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)﴾. وذلك في الدنيا، ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظان، وهو: كتاب مرقوم جُعل في عِلّيين، أو في سِجّين، وذلك أيضاً في الدنيا، لكنّه عقّب بالكتابة، إمّا في يومه، أو بعد الموت في البرزخ كما في الآثار. فهذه حالة ثانية في الكتاب ذكرت في السورة الثانية.

وله حالة ثالثة متأخّرة فيها، وهي أخذ صاحبه باليمين أو غيرها، وذلك يوم القيامة، فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك، عن السورة التي فيها الحالة الثانية، وهي الانشقاق، فللّه الحمد على ما مَنّ بالفهم لأسرار كتابه.

ثم رأيت الإمام فخر الدين قال في سورة المطفّفين أيضاً: اتصال أوّلها بآخر ما قبلها ظاهر، لأنه تعالى بيّن هناك أن يوم القيامة من صفته: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار/١٩] وذلك يقتضي تهديداً عظيما للعصاة، فلهذا أتبعه بقوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾.

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧)﴾ [الانشقاق]، إلى قوله: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ [الانشقاق].

لغة التنزيل في سورة «المطفّفين»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴿١﴾﴾.

التَّطْفيف: هو البَخْس في الكيل والوزن، لأنّ ما يُبْخَس شيء طفيف حقير.

أقول: كأنّ المُطفِّف: هو الذي يُنقِصُ وَضْعَ الطُّفافة، وهي الزيادة بعد الكيل وفاءً لما نقص منه في أثناء الكيل، وعلى هذا كان «المطفِّف» من يمنع «الطُّفافة» سرقةً وغشاً، محاباةً للبائع الذي يكيل لمصلحته، وكما يكون في الكيل يكون ذلك في الوزن.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴿٣﴾﴾.

والمعنى واضح، والأصل: كالوا لهم ووزنوا لهم ثم حذَف وأوصل.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴿٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿سِجِّينٌ﴾، أي كتاب جامع هو ديوان الشرّ، دوِّن الله فيه أعمال الشياطين، وأعمال الكفرة، والفسقة من الجن والإنس؛ وهو كتاب مرقوم مسطور بيِّن الكتابة.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴿١٨﴾﴾.

وعِلِّيون: علم لديوان الخَير، الذي دوِّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثَّقَلَيْن.

أقول: و «عِلِّيون» مما ألحق بجمع المذكر السالم لا واحد له؛ وهو ممّا يشير إلى أن هذا الجمع قد شمل طائفة

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.

كبيرة من الكلم، عاقلاً كان أم غير عاقل.

وقالوا أيضاً: العِلّيّون الغرف العالية في الجنة.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴿٢٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَسۡنِيمٍ﴿٢٧﴾﴾ علم بعينها في الجنة.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴿٣١﴾﴾.

أي: ملتذّين بذكرهم.

أقول: وجميع ما جاء من المعاني في (فكهين)، في هذه الآية وغيرها، من أصل «الفاكهة»؛ فاللذّة والتعجّب استفيدا من نعمة «الفاكهة». وكذلك «الفُكاهة» الشائعة في عصرنا.



المعاني اللغوية في سورة «المطفّفين»(*)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ أي: «إذا كالوا الناس أو وَزَنُوهُم»، فأهْلُ الحجاز يقولون «كِلْتُ زَيْداً» و«وَزَنْتُهُ» أي: «كِلْتُ لَهُ» و«وَزَنْتُ لَهُ».

قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ بجعله في الحين، كما تقول «فلانٌ اليومَ صالحٌ» تريد به الآن في هذا الحين، وتقول هذا بالليل «فلانٌ اليومَ ساكِنٌ» أي: الآن، أي: هذا الحين، ولا نعلم أحداً قرأها جراً؛ والجرّ جائز.

وقال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [الآية ١٤]؛ تقول: «رانَ» «يَرِينُ» «رَيْناً».

وقال سبحانه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الآية ٢٨] بجعله على ﴿يُسْقَوْنَ﴾ [الآية ٢٥] ﴿عَيْنًا﴾ [الآية ٢٨]؛ وإنْ شئت جعلته على المدح، فتقطع من أول الكلام، كأنك تقول: «أعْني عَيْناً».

وقال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ [الآية ٣٦] فإن شئت أدغمت[1] وإن شئت لم تدغم، لأن اللام[2] مخرجها بطرف اللسان قريب من أصول الثنايا، والثاء بطرف اللسان وأطراف الثنايا، إلاّ أنّ اللام بالشقّ الأيمن أَدْخَلُ في الفم، وهي قريبة المخرج منها؛ ولذلك قرئ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسب الإدغام في السبعة ٦٧٦ إلى أبي عمرو؛ وفي البحر ٨/٤٤٣ إلى النحويين، وحمزة، وابن محيصن.

(٢) نسب عدم الإدغام إلى غير أبي عمرو؛ وفي السبعة ٦٧٦ إلى الجمهور؛ وفي البحر ٨/٤٤٣.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ [الأعلى/١٦] فأدغمت اللام في التاء[1]، لأنّ مخرج التاء والثاء قريب، من مخرج اللام.



(١) هي قراءة نسبت في إعراب ابن خالويه ٦٢ إلى حمزة؛ وقيل قراءة حمزة، والكسائي، وهشام، والتيسير ٤٣.

لكل سؤال جواب في سورة «المطفّفين»(*)

إن قيل: لِمَ لَمْ يقل الله تعالى إذا اكتالوا أو اتّزنوا على الناس يستوفون كما قال سبحانه في مقابلة ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

قلنا: لأنّ المطفّفين كانت عادتهم، أنهم لا يأخذون ما يكال وما يوزن إلاّ بالمكيال، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم، وأهون عليهم منه بالميزان، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكّنهم من البخس فيهما.

فإن قيل: لِمَ فسّر سبحانه وتعالى «سِجّيناً» بكتاب مرقوم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ وكذا فسّر تعالى «عِلّيّين» به، مع أن سِجّيناً اسم للأرض السابعة، وهو فِعّيل من السجن؛ وعِلّيّين اسم للجنة أو لأعلى الأمكنة، أو للسماء السابعة، أو لِسِدْرَة المنتهى؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ وصف معنوي لكتاب الفُجّار ولكتاب الأبرار؛ لا تفسير لسِجّين ولعِلّيّين، تقديره: وهو كتاب مرقوم.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «المطفّفين»(*)

قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ استعارة، لأنّ الحجاب لا يطلق إلاّ على من يصحّ عليه الظهور والبطون، والاستتار والبروز. وذلك من صفة الأجسام المحدثة، والأشخاص المؤلّفة. والمراد بذكر الحجاب ههنا، أنهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه، مَذودُون عن دخول جنته، ودار مقامته. وأصل الحَجْب المنع. ومنه قولنا في الفرائض: الإخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس. أي يمنعونها من الثلث، ويردُّونها إلى السدس. ومن ذلك أيضاً قولهم: حُجِبَ فلان عن باب الأمير. أي رُدَّ عنه، ودُفع دونه. ويجوز أن يكون كذلك معنىً آخر، وهو أن يكون المراد أنهم غير مقرّبين عند الله سبحانه بصالح الأعمال، واستحقاق الثواب. فعبّر سبحانه عن هذا المعنى بالحجاب. لأنّ المُبْعَد المُقْصَى يُحْجَب عن الأبواب، ويُبْعَد من الجناب.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة الانشقاق

٨٤


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «الانشقاق»[*]

سورة الانشقاق سورة مكّيّة آياتها ٢٥ آية، نزلت بعد سورة الانفطار. وهي سورة هادئة الإيقاع يغلب عليها هذا الطابع، حتى في وصف مشاهد القيامة، التي عرضتها سورة التكوير في جوّ عاصف.

«وتطوف سورة الانشقاق بالقلب البشري في مجالات كونيّة وإنسانيّة شتى، متعاقبة تعاقباً مقصوداً، فمن مشهد الاستسلام الكوني، إلى لمسةٍ لقلبِ الإنسان، إلى مشهد الحساب والجزاء، إلى مشهد الكون الحاضر وظواهره الموحية، إلى لمسةٍ أخرى للقلب البشري، إلى التعجّب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كلّه، إلى التهديد بالعذاب الأليم، واستثناء المؤمنين من العذاب»[1].

مقاطع السورة

يمكن أن تقسم سورة الانشقاق إلى أربعة مقاطع: المقطع الأول: وفيه مطلع السورة، ذلك المطلع الخاشع الجليل، الذي يفيد نهاية الكون واستجابة السماء والأرض لأمر الله في خشوع وطواعية (وذلك في الآيات ١ ـ ٥).

والمقطع الثاني: يبيّن أن الإنسان محاسَبٌ على عمله، وسيجازى عليه، فالمؤمن يأخذ كتابه باليمين، ويلقى السرور وحسن الجزاء؛ والكافر يأخذ

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

(١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٣٠/ ٩٨.

كتابه من وراء ظهره، ويلقى الهلاك والسعير (وذلك في الآيات ٦ ـ ١٥).

والمقطع الثالث يعرض مشاهد الكون، في صورة تأخذ بالألباب (وذلك في الآيات ١٦ ـ ١٩).

والمقطع الرابع يتعجّب من حال هؤلاء الذين يُعْرِضون عن الإيمان، ويهدِّدهم بالجزاء العادل (وذلك في الآيات ٢٠ ـ ٢٥).

وهذه اللمسات المتعدّدة تطوف بالقلب البشريّ، وتنتقل بالنفس خلال مشاهد الآخرة والدنيا، والحساب والجزاء، في آيات قصيرة وحيّز محدود، ممّا لا يمكن لبشر أن يفعله؛ ولكنّه القرآن الذي يسّره الله للذّكر، وأنزله لهداية العالمين.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٥]: يصف الله سبحانه وتعالى ما يحدث من الأهوال يوم القيامة عند خراب الدنيا، فيذكر سبحانه أن السماء تنشقّ وتصبح ذات فروج وفتحات، وتنقاد هذه السموات لأمر ربّها وتخضع لتأثير قدرته، حينما يريد انشقاقها، فهي أشبه بالمطيع الذي يذعن لأمر سيده؛ والأرض تُسوّى وتبسط باندكاك جبالها؛ وتُخرج ما فيها من الموتى حتى لا يبقى بداخلها شيء؛ وتنقاد كذلك لأمر ربها، وتخضع لتأثير قدرته، لأنها في قبضة القدرة الإلٰهية، تصرّفها في الفناء، كما صرفتها في الابتداء. وجواب «إذا» التي صدِّرت بها السورة محذوف، وتقدير الكلام، والله أعلم: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ ترون جزاء ما عملتم من خير أو شر.

وخلاصة ذلك: وصف أحوال يوم القيامة، وفيه تُبدّل الأرض غير الأرض، والسماوات غير السماوات؛ ويبرز الناس للحساب، على ما قدّموا في حياتهم من عمل؛ وعلينا أن نؤمن بذلك كله، ونَكِلَ علم حقيقته، ومعرفة كنهه الى الله تعالى.

[الآيات ٦ ـ ١٥]: يا أيّها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحاً تحمل عبئك، وتجهد جهدك، وتشقّ طريقك لتصل في النهاية إلى ربّك؛ فإليه المرجع وإليه المآب، بعد الكدّ والكدح والجهاد، وفي يوم البعث ينكشف الالتباس، ويعرف كل عامل ما جرّ إليه عمله، والناس حينئذ صنفان:

١ ـ الذي يُعرَض عليه سِجِلُّ

أعماله، ويتناول كتابه بيمينه، فإنه يحاسب أيسر الحساب، إذ تُعْرَض عليه أعماله فيعرف بطاعته وبمعاصيه، ثم يثاب على ما كان منها طاعة، ويتجاوز له عما كان منها معصية.

عن عائشة(رض) قالت: «سمعت رسول الله (ص) يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلمّا انصرف قلت: يا رسول الله، وما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»[1].

فهذا هو الحساب اليسير الذي يلقاه من يؤتى كتابه بيمينه، ثم ينجو ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ وأهله هم الناجون الذين سبقوه الى الجنة.

٢ - ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾، والذي ألفناه في تعبيرات القرآن من قبل هو كتاب اليمين، وكتاب الشمال، فهذه صورة جديدة: صورة إعطاء الكتاب من وراء الظهر، وليس يمتنع أن يكون الذي يعطى كتابه بشماله، يعطاه كذلك من وراء ظهره، فهي هيئة الكاره المكره، الخَزْيان من المواجهة. والذي نخلص اليه، أنّ إيتاء الكتاب باليمين، أو باليسار أو من وراء الظهر، تصوير لحال المطّلع على أعماله في ذلك اليوم، فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر، وتناول كتابه بيمينه؛ ومنهم من اذا انكشفت له سوابق أعماله عَبَسَ وبَسَرَ، وأعرض عنها وأدبر، وتمنّى لو لم تكشف له، وتناولها باليسار أو من وراء الظهر، وحينئذٍ يدعو واثبوراه، أي يا هلاك أقبل، فإنّي لا أريد أن أبقى حيّاً. ولا يفعل الإنسان ذلك، إلاّ إذا كان في شدّة التعاسة والشقاء، كما يقول المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

وحَسْبُ المنايا أن يَكُنّ أمانيا

وتناوُلُ الكافر لكتابه بشماله أو من وراء ظهره علامة على سخط الله عليه، وهو يدعو على نفسه بالهلاك والويل، ويدخل نار جهنم التي سُعِّرت وأُوقدت، ليحترق بنارها؛ لأنه كان في الدنيا بين عشيرته من الكافرين، لاهياً في شهواته، منقاداً لأهوائه، لا يخطر الموت على باله، ولا البعث، ﴿إِنَّهُۥ

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن الزبير عن عائشة، وهو صحيح على شرط مسلم، لم يخرجه.

﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ إلى ربه، ولن يرجع إلى بارئه ولو ظن الرجعة في نهاية المطاف، لقدّم بعض العمل، وادّخر شيئاً للحساب.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾: أي بلى لَيَحُورَنَّ وليرجعن إلى ربّه، وليحاسبنه على عمله، فهو سبحانه كان مطّلعاً على أمره، محيطاً بحقيقته، عالماً بحركاته وخطواته.

وتصوِّر الآيات هذا التعيس، وهو مسرور بين أهله في حياة الدنيا القصيرة؛ ولكنّه في الآخرة حزين يتمنّى الموت والهلاك، تقابلها صورة ذلك السعيد المؤمن، وهو ينقلب إلى أهله مسروراً، في حياة الآخرة المديدة، لقاء ما قدّم من سعي حميد، وعمل صالح.

وتعود الآيات إلى لمحات من الكون، تجمع بين الخشوع الساكن، والجلال المرهوب:

[الآيات ١٦ ـ ١٩]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ والشفق هو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، وبعد الغروب تأخذ النفسَ روعةٌ ساكنة عميقة، ويحسّ القلب معنى الوداع، وما فيه من أسىً صامت، وشجًى عميق، كما يحس رهبة الليل القادم، ووحشة الظلام الزاحف، ويلفّه في النهاية خشوع، وخوف خفيّ، وسكون.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾: هو الليل وما جمع وما حمل من الظلام والنجوم، أو ما عُمِلَ فيه من التهجّد، أو ما جُمِعَ من مخلوقات كانت منتشرة بالنهار، فاذا جنّها الليل أوَتْ إلى مأواها.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾: أي اكتمل واستدار وصار بدراً، وهو مشهد رائع للقمر في ليالي اكتماله، يفيض على الأرض بنوره الحالم الخاشع، الموحي بالصمت الجليل.

يُقْسِم القرآن الكريم بهذه الأشياء؛ التي إذا تدبّر الإنسان أمرها، استدلّ بجلالها وعظمة شأنها على قدرة مبدعها.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾: أي لتلاقُن أيها الناس أموراً بعد أمور، وأحوالاً بعد أحوال من الموت والبعث والحشر، إلى أن تصيروا إلى ربّكم وهناك تلقون جزاء أعمالكم.

[الآيات ٢٠ ـ ٢٥]: فلماذا لا

يؤمنون بالبعث والنشور، وهم يرون آثار قدرة الله وبدائع صنعه، وما لهم لا يخضعون لآيات القرآن، وفيها من اللّمسات والموحيات ما يصل القلب البشري بالوجود الجميل، وبباريء الوجود الجليل، وإذا قرأ المؤمن هذه الآية، سجد لله سجود التلاوة، عند قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾.

ولكنّ الكافرين قوم معاندون؛ فالتكذيب طابعهم، والله أعلم بما يكنون في صدورهم، ويضمّون عليه جوانحهم، من بَغْي وحسد، وإشراك بالله، وحقد للرسول (ص)؛ ولذلك أمر الله نبيه (ص) أن يبشّرهم جميعاً، بالعذاب المؤلم الموجع يوم القيامة... ويالها من بشرى لا تسرّ.

أما الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله (ص)، وامتثلوا أوامر الله فعملوا الأعمال الصالحة، فلهم الأجر الحسن، والثواب الدائم الذي لا ينقطع ولا يزول.

مقاصد السورة

١ ـ وصف مشاهد القيامة.

٢ ـ الإنسان كادح عامل في الدنيا، وسيلقى الجزاء في الآخرة.

٣ ـ المؤمن يأخذ كتابه باليمين، فيجد السعادة والسرور.

٤ ـ الكافر يأخذ كتابه من وراء ظهره، فيجد الشقاء والسعير.

٥ ـ القسم بالشَّفَقِ والليل والقمر، تنبيهاً لجلالها وبديع صنعها.

٦ ـ النّاس تنتقل من الحياة الى الموت ثمّ إلى البعث والحساب والجزاء، فهم ينتقلون في أحوالهم طبقة بعد طبقة، ليستقرّوا في نعيم مقيم، أو في عذاب أليم.



المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانشقاق»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الانشقاق بعد سورة الانفطار، ونزلت سورة الانفطار بعد الإسراء، وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الانشقاق، في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ وتبلغ آياتها خمساً وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

يقصد من هذه السورة، إثبات المعاد، وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب؛ فهي أيضاً في سياق الإنذار، والترهيب، والترغيب، كسورة المطفِّفين؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

إثبات المعاد
الآيات [١ ـ ٢٥]

ذكر سبحانه، أنه، إذا حصل انشقاق السماء، وما ذكر بعده يرى كل إنسان ما عمل؛ وأنه كادح اليوم حتّى يلاقِيَه؛ ثم فَصَّل ما يكون فيه مِنْ أخْذ بعضهم كتابه بيمينه، ومحاسبته حساباً يسيراً، ومِنْ أخذ بعضهم كتابه وراء ظهره . . . الخ. ثم أقسم، جلَّ وعلا، بالشفق وما ذكر معه، على أنهم سيركبون في الشِّدّة طَبَقاً بعد طبق، ووبّخهم على عدم إيمانهم مع هذه النُّذر؛ وذكر

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمابز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

سبحانه أنهم يكذبون مع قيام هذه الدلائل، وهو أعلم مما يُوعُون في صدروهم؛ ثم أمر جلّت قدرته، بتبشيرهم بعذاب أليم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الانشقاق»(*)

قد استوفي الكلام فيها في سورة المطفِّفين.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الانشقاق»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾.

أي: لن يرجع إلى الله تعالى، تكذيباً بالمعاد؛ يقال: لا يحور ولا يحول.

أي لا يرجع ولا يتغير.

أقول: والفعل «حار يحور» من الأفعال المعروفة في عاميّتنا في العراق، وليس في الفصيحة المعاصرة.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.



المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الانشقاق»(*)

قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢)﴾ أي: وَحُقَّ لَهَا.

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)﴾؛ تقول: «أوعَيْتُ في قلبي كذا وكذا»، كما تقول: «أوعَيْتُ الزّادَ في الوعاء»، وتقول: «وعَتْ أُذُني»؛ قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)﴾ [الحاقة].

وأمّا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)﴾ فعلى معنى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)﴾ على التقديم والتأخير.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «الانشقاق»(*)

إن قيل: أين جواب ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)﴾؟

قلنا. فيه وجوه: أحدها أنه متروك لتكرّر مثله في القرآن. الثاني: أنه ﴿أَذِنَتْ﴾ [الآية ٢] والواو فيها زائدة. الثالث: أنه محذوف تقديره بعد قوله تعالى: ﴿وَحُقَّتْ (٢)﴾ بُعِثْتُمْ أو جوزيتم أو لاقيتم ما عملتم، ودلّ على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾. الرابع: أنّ فيه تقديماً وتأخيراً تقديره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)﴾.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.



المعاني المجازية في سورة «الانشقاق»(*)

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ استعارة. والمراد بها بعث الأموات، وإعادة الرفات. فكأنّ الأرض كانت حاملاً بهم فوضعتهم، أو حاملة لهم فألقتهم، فكانوا كالجنين المولود، والثِّقل المنبوذ.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ استعارة. ومعنى (وَسَقَ) ههنا أي ضمّ وجمع. فكأنه يضم الحيوانات الإنسية إلى مساكنهم، والحيوانات الوحشية إلى موالجها، والطيور إلى أوكارها ومواكِنِها[1] فكأنّه ضمّ ما كان بالنهار منتشراً، وجَمَعَ ما كان متبدِّداً متفرّقاً. والأوساق مأخوذة من ذلك، لأنها الأحمال التي يجمع فيها الطعام، وما يجري مجراه؛ ويقال: طعام موسوق أي مجموع في أوعيته.

وقد قيل: إنّ معنى (وَسَقَ) أي طَرَدَ. والوسيقة: الطريدة. فكأنّ الليل يطرد الحيوانات كلّها إلى مثاويها، ويسوقها إلى مخافيها.

وقوله سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ استعارة على بعض التأويلات. والمراد بها لَتَنقَلِبُنَّ من حال شديدة إلى حال مثلها، من حال الموت وشدّته إلى حال الحشر وروعته.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) المَوْكِن والمَوْكِنَة: عشّ الطائر.

وقيل: لتركَبُنَّ سُنَّةَ من كان قبلكم من الأمم.

وقيل: المراد بذلك تنقُّل الناس في أحوال الأعمار، وأطوار الخلق والأخلاق. والعرب تسمّي الدواهي «بنات طَبَق» وربما سمّوا الداهية: أمّ طَبَق. قال الشاعر[1]:

قَدْ طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أمُّ طَبَقْ
فَنَتَجُوها خَبَراً ضَخْمَ العُنُقْ
موتُ الإمامِ فِلْقَةٌ من الفِلَقْ

والفِلَقُ أيضاً من أسماء الدواهي. واحدها فِلْقَة.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ استعارة. والمراد بها ما يُسِرُّون في قلوبهم، ويُكِنُّون في صدورهم.

يقول القائل أوعَيْتُ هذا الأمر في قلبي. أي جعلتهُ فيه كما يُجعل الزاد في وعائه، ويُضَمُّ المتاع في عِيابه[2]؛ فالقلوب أوعيةٌ لما يجعل فيها من خير أو شر، وعلم أو جهل أو باطل أو حق.

---

(١) هو خلف الأحمر. وأصله مولى لأبي بردة من فرغانة، ولكنه حفظ كلام العرب وشعرهم وأخبارهم، حتى صار يقول الشعر، فيجيده ويَنْحَله الشعراء المتقدّمين. وكان الأصمعي من رواته، كما سمع هو من حمّاد الراوية. وأخباره في «طبقات الأدباء» و«الشعر والشعراء» و«العقد الفريد» و«الفهرست». توفي سنة ١٨٠هـ.

وأمّ طبق: هي الداهية. والخبر: الناقة الغزيرة اللبن، والفلقة: الداهية. وفي ثمار القلوب» للثعالبي: قال الأصمعي: أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر، وكنّا في حلقة يونس، فجاء خلف الأحمر فسلّم، ولم يكن الخبر فشا، ثم قال: «قد طرّقت ببكرها أمّ طبق». فقال يونس: وما ذاك يا أبا محرز؟ فقال؛ «فنتجوها خبراً ضخم العنق». فقال: لم أدر بعدا! فقال: «موت الإمام فلقة من الفلق». فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع ـ ص ٢٠٧ من «الثمار».

وانظر الخبر في «لسان العرب» مادة طبق. وفي الورقة ٦٠ من كتاب «المعول عليه في المضاف والمضاف إليه» للمُحِبّي، وهو مخطوط مصور بمجمع اللغة العربية.

(٢) العياب: الأوعية؛ واحدها: العَيْبَة.

سورة البُرُوج



۸۵


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «البروج»(*)

سورة البروج سورة مكّيَة، آياتها ٢٢ آية، نزلت بعد سورة الشمس.

هذه السورة القصيرة تعرض حقائق العقيدة، وقواعد التصور الإيماني، وتُمَجِّد الثبات على الحقّ، وتُبشر المؤمن بنصر الدنيا ونعيم الآخرة، وتهدّد الجبّارين المعتدين بنقمة الله ولعنته في الدنيا والآخرة.

أصحاب الأخدود

الأخدود: الشق في الأرض يُحفر مستطيلاً، وجمعه أخاديد، وأصحاب الأخدود قوم كافرون ذَوُو بأس وقوة، رَأَوْا قوماً من المؤمنين فغاظهم إيمانهم، فحملوهم على الكفر فأبوا، فشقّوا لهم شقّاً في الأرض وحَشَوْه بالنار، وألقوهم فيه، وكان هؤلاء الغِلاظُ الأَكبادِ على جوانب الشّق يشهدون الإِحراق.

فقرات السورة

تبدأ الفقرة الأولى بالقَسَم، وتربط بين السماء ويوم القيامة، وبين حادث الأخدود، ونقمة الله على أصحابه في الآيات [١ ـ ٤].

٢ ـ ثم تعرض الفقرة الثانية المشهد المفجع في لمحات خاطفة تُظهر بشاعة الحادث، بدون تفصيل ولا تطويل، مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدّتها، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها في الآيات [٥ ـ ١٠].

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

٣ ـ ثم يجيء التعقيب بعد ذلك بفوز المؤمنين، وبشدّة بطش الله بالمجرمين، وبقدرته وهيمنته على الكون، ثمّ اشارة سريعة الى سوابق من أُخِذ من الطغاة كفرعون وثمود في الآيات [١١ ـ ٢٢].

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٣]: يُقسم الله سبحانه بالسماء ذات الكواكب، والنجوم الكثيرة، التي تنتشر في أرجائها، ويُقسم بيوم القيامة، ويقسم بالشاهد والمشهود، والشاهد هو الملائكة تشهد على الناس يوم القيامة، والمشهود عليه هو الخلائق أو الأنبياء تشهد على أممهم يوم القيامة، أو بجميع ما خلق الله في هذا الكون مما يشهده الناس، ويرونه رأي العين.

وخلاصة ذلك أنه سبحانه أقسم بالعوالم كلها، ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة.

[الآية ٤]: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ أي أُخِذوا بذنوبهم، ونزل بهم نكال الدنيا وعذاب الآخرة.

ومن حديث ذلك أنه قد وقع إلى نجران من أرض اليمن، رجلٌ ممّن كانوا على دين عيسى بن مريم (ع)، فدعا أهلها الى دينه، وكانوا على اليهودية، وأعلمهم أنّ الله بَعَثَ عيسى (ع) بشريعة ناسخة لشريعتهم، فآمن به قوم منهم، وبلغ ذلك ذا نُواس مَلِكَهم، وكان يتمسك باليهودية، فسار إليهم بجنود من حِمْيَر، فلمّا أَخَذَهم، خَيَّرهم بين اليهودية والإحراق بالنار، وحفر لهم حفيرة ثم أضرم فيها النار، وصار يُؤْتَى بالرجل منهم فَيُخَيِّره: فمن جَزِع من النار، وخاف العذاب، ورجع عن دينه، ورضي اليهودية، تركه؛ ومن استمسك بدينه، ولم يبال بالعذاب الدنيوي، لثقته بأن الله يجزيه أحسن الجزاء، ألقاه في النار.

ثم بيّن مَنْ أصحاب الأخدود فقال:

[الآية ٥]: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ أي أن أصحاب الأخدود هم أصحاب النار، التي لها من الحطب الكثير ما يشتدّ به لهيبها، وجرم يكون حريقها عظيماً.

[الآية ٦]: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ أي قُتِلُوا ولُعِنُوا حينما أحرقوا المؤمنين بالنار، وهم قاعدون حولها يشرفون عليهم، وهم يعذّبون ويحرقون فيها.

[الآية ٧]: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ وهو تعبير يصوّر قسوة قلوبهم، وتَمَكُّن الكفر منهم. فإنّ التعذيب كان يجري بأمرهم، وكانوا يقعدون على مقربة من النار، ويشاهدون أطوار التعذيب وفِعْلَ النار في الأجسام بلذَّةٍ وسُعار، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع.

[الآيتان ٨ و٩]: وما أنكر أصحاب الأخدود على هؤلاء الذين أحرقوهم بالنار إلا أنهم آمنوا بربهم، الموصوف بالغلبة والقهر، المحمود على نِعَمه وأفضاله، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وهو رقيب على الجميع شاهد على أعمالهم وأحوالهم.

[الآية ١٠]: إنّ هناك جزاءً عادلاً في الآخرة. وهؤلاء الذين عذَّبوا المؤمنين وأحرقوهم في الدنيا، ولم يندموا على ما فعلوا، سيَلْقَوْن عقابهم في جهنم، وفي حريق شديد، لقد أحرقوا المؤمنين بنار الدنيا، وهي جزء يسير من نار الآخرة، إذ نارها شديدة ومعها غضب الله على العصاة.

[الآية ١١]: وهؤلاء المؤمنون الصادقون، يَلْقَوْنَ جزاءهم في جنّات تجري من تحتها الأنهار، مع رضوان الله، وذلك هو الفوز الكبير.

وبهذا يتمّ الأمر، وينال كل طرف جزاءه العادل، فالظالمون الطُغاة يَلْقَوْنَ عذاب الحريق، والمؤمنون الصادقون يلقون الجنة ورضواناً من الله وذلك هو الفوز الكبير.

[الآيات ١٢ ـ ١٦]: ان انتقام الله من الظالمين لشديد، فهو يمهلهم حتَى إذا أخذهم لم يفلتهم، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده يوم القيامة.

ثم ذكر سبحانه خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال فقال:

١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية ١٤] لمن يرجع اليه بالتوبة.

٢ ـ ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ كثير الود والعطاء والمحبة لمن أخلصوا له.

٣ ـ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية ١٥] ذو السلطان الكبير والقدرة الكاملة.

٤ ـ ﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ العظيم الكرم والفضل.

٥ ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار.

وهو صاحب الإرادة الطليقة والقدرة المطلقة؛ وراء الأحداث، ووراء الحياة، ووراء كل شيء في الوجود.

[الآيتان ١٧ و١٨]: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ

﴿الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ الجنود تطلق تارة على العسكر، وتطلق تارة أخرى على الأعوان؛ والمراد بهم هنا الجماعات الذين تجنّدوا على أنبياء الله واجتمعوا على أذاهم، هل أتاك حديثهم؟ وكيف فعل ربك بهم ما يريد.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ لقد أهلك الله فرعون وجنده، ونجا موسى ومن آمن معه؛ وقصّة ثمود مع صالح معروفة، فقد عَقَرَتْ ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية، وقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم، ونجّى صالحاً ومن معه من المؤمنين.

وخلاصة ذلك: أنّ الكفّار في كل عصر متشابهون، وأنّ حالهم مع أنبيائهم لا تتغيّر ولا تتبدّل، فهم في عنادهم سواء، ولكنّ العاقبة دائماً للمتّقين، وبطش الله شديد بالطغاة الظالمين.

[الآيات ١٩ ـ ٢٢]: وفي الختام تقرّر السورة أنّ الكفّار في كل عصر يكذّبون الرسالات، وهم غافلون عما يحيط بهم من قهر الله وقدرته، وهو سبحانه محيط بهم وعالم بجميع أحوالهم، وسوف يؤاخذهم على عملهم، وهذا الذي كَذَّب به قومك كتاب شريف، متفرّد في النظم والمعنى، محفوظ من التحريف، مصون من التغيير والتبديل.

مقاصد السورة

١ ـ إظهار عظمة الله وجليل صفاته.

٢ ـ قصة أصحاب الأُخدود.

٣ ـ عاقبة المتّقين الجنّة والرضوان، ونهاية المعتدين الهلاك والحريق.

٤ ـ يبيد الله الأمم الطاغية في كلّ حين، ولا سيّما الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات.

٥ ـ القرآن مجيد شريف، وكفى شرفاً أنه كلام الله.

ترابط الآيات في سورة «البروج»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البروج بعد سورة الشمس، ونزلت سورة الشمس بعد سورة القَدْر، ونزلت سورة القدر بعد سورة عَبَس، وكان نزول سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة البروج في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ١﴾ وتبلغ آياتها اثنتين وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على تعذيب أهل مكّة لهم، وتذكيرهم بما جرى من التعذيب لمن آمن قبلهم؛ وقد اقتضى هذا إنذار من يعذّبهم، فسارت به هذه السورة في سياق الإنذار كالسورة التي قَبْلَها؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

تثبيت المؤمنين على إيذاء المشركين الآيات [١ ـ ٢٢]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشْهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٤﴾ فأقسم بهذا على قتل أصحاب الأخدود من الأوّلين، وهم الذين حفروا أخاديد ووضعوا فيها

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

ناراً وألقوا فيها من آمن منهم؛ ثمّ ذكر سبحانه أن الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات من كفّار قريش، كما فَتَنَ هؤلاء من آمن منهم لهم عذاب جهنّم، وأن المؤمنين لهم جنات تجري من تحتها الأنهار؛ ثم ذَكَر جلَّ وعلا أن بطشه شديد، إلى غير هذا مما ذكره من صفات نقمته ورحمته بعدما ذَكَر من عقابه وثوابه، ثم ذَكّر النبي(ص) بما فعله بفرعون وثمود، وذكر أن هؤلاء المشركين مع هذا مستمرون في تكذيبهم، وهدّدهم بأنه محيط بهم، وذَكَر أن ما أنذرهم به من ذلك إنّما هو قرآن مجيد: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورتي «البروج» و«الطارق»[*]

أقول: هما متآخيتان فَقُرِنتا، وقدمت الأولى لطولها، وذُكِرتا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد في الحديث ذِكْرُ السموات مراداً بها السور الأربع[1] كما قيل المسبّحات.



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ٢/ ٣٢٧ عن أبي هريرة ان النبي (ص) أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء. يعني: السور الأربع المفتتحة بذكر السماء.



المبحث الرابع

مكنونات سورة «البروج»(*)

أخرج ابنُ جَرِير عن أبي هريرة مرفوعاً:

١ ـ ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: يوم القيامة.

٢ ـ ﴿وَشَاهِدٍ﴾ [الآية ٣]: يوم الجمعة.

٣ ـ ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عَرفة.

وقال النَّخعي: الشاهد يوم النحر.

وقال مُجاهِد: الشاهد: آدم (ع).

وقال الحسن والحسين رضي الله عنهما. الشاهد: محمد (ص).

أخرج ذلك ابنُ أبي حاتم.

وأخرج ابنُ جرير. عن عكرمة قال: الشاهد محمد، والمشهود يوم الجمعة

٤ ـ ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [الآية ٤].

أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق قتادة، قال: كُنّا نُحدَّث أنّ علياً قال: هم أناس كانوا بِمَدارع اليمن.

وأخرج من طريق الحسن عنه قال: هم الحبشة[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) انظر قصّة أصحاب الأخدود في «صحيح مسلم» كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب. و«سنن الترمذي» في التفسير، حديث رقم: (٣٣٣٧).

وجاء في «الإتقان» ٢/ ١٥٠ أن أصحاب الأخدود: ذو نواس، وزرعة بن أسد الحميري وأصحابه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «البروج»(*)

موضع قسمها، والله أعلم، على: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ بإضمار اللام كما قال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ [الشمس] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس] أي: إن شاء الله «لقد أفلح مَنْ زكّاها» بإلقاء اللام. وإن شئت على التقديم، كأنّ السياق: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ فعلى البدل.

وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ فـ ﴿الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ جر كذلك على (الْعَرْشِ)[1] والرفع على قوله ﴿ذُو﴾[2] وكذلك ﴿مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ جر على (اللَّوْح)[3] ورفع على

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٥٤ إلى يحيى وأصحابه، وفي الطبري ٣٠/ ٩١٣ إلى عامة قرّاء الكوفة، وفي الكشف ٢/ ٣٦٩، والتيسير ٢٢١ إلى حمزة والكِسائي، وفي السبعة ٦٧٨ زاد عاصماً وفي الجامع ٩/ ٢٩٦ إلى الكوفيّين عدا عاصماً، وفي البحر ٨/ ٤٥٢ إلى الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والأعمش والمفضّل عن عاصم والأخوين.

(٢) في الطبري ٣٠/ ١٣٩ إلى عامة قرّاء المدينة ومكّة والبصرة وبعض الكوفيّين، وفي الكشف ٢/ ٣٦٩، والتيسير ٢٢١ إلى غير حمزة والكِسائي، وفي الجامع ١٩/ ٢٩٦ إلى عاصم وغيره مما عدا الكوفيين، وفي السبعة ٦٧٨ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم.

(٣) نسبت في السبعة ٦٧٨، وحجة ابن خالويه ٣٤٠، والكشف ٢/ ٣٦٩، والجامع ١٩/ ٢٩٩ إلى غير نافع، وفي البحر ٨/ ٤٥٢ إلى الجمهور، وفي الطبري ٣٠/ ١٤٠ الى ابي جعفر القارئ وابن كثير من أهل الحجاز وعاصم والأعمش وحمزة والكِسائي من أهل الكوفة.

(القرآن)[1] وأما ﴿ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ فالحطب و«الوُقُود» الفعل وهو الاتّقاد».



(١) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٥٤ إلى شيبة وأبي جعفر، وفي الطبري ٣٠/ ١٤٠ إلى ابن محيصن ونافع، وفي السبعة ٦٧٨، وحجّة ابن خالويه ٣٤٠، والكشف ٢/ ٣٦٩، والجامع ١٩/ ٢٩٩ إلى نافع، وفي البحر ٨/ ٤٥٣ إلى الأعرج وزيد بن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه.

لكل سؤال جواب في سورة «البروج»(*)

إن قيل: أين جواب القسم؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها أنه متروك. الثاني: أنه قوله تعالى: ﴿قُتِلَ﴾ [الآية ٤] أي لقد قُتِلَ: أي لُعِنَ. الثالث: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾. الرابع: أنه محذوف تقديره: لَتبعثنّ أو نحوه. الخامس: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ [الآية ١٠].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الطّارق

٨٦


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الطارق»(*)

سورة الطارق سورة مكية، آياتها ١٧ آية، نزلت بعد سورة البلد.

وهي سورة تشترك في خصائص سُوَرِ هذا الجزء، التي تمثل طَرَقاتٍ متوالية على الحس، طَرَقاتٍ عنيفة قويّة عالية، وصيحات بقوم غارقين في النوم، تتوالى على حسّهم تلك الطرقات تناديهم: تيقظوا، تنبّهوا، انظروا، تفكّروا، تدبّروا: إن هناك إلهاً وحساباً وجزاءً، وعذاباً شديداً، ونعيماً كبيراً.

وبين المشاهد الكونية، والحقائق الموضوعية في السورة تناسُقٌ مطلق، دقيق ملحوظ، يتّضح من استعراض السورة في سياقها القرآني الجميل.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٤]: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾: أي السماء ونجومها الثاقبة للظلام، النافذة من هذا الحجاب الذي يستر الأشياء.

وقد كثُرَ في القرآن الحلف بالسماء وبالشمس وبالقمر وبالليل، لأنّ في أحوالها وأشكالها ومسيرها ومطالعها ومغاربها، سمات القدرة وآيات الإبداع والحكمة.

و﴿الطَّارِقُ﴾: الذي يطرق ليلاً، و﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ هو النجم المضيء الذي يثقب الظلام، ويُهْتَدَى به في ظلمات البر والبحر، وهو الثريّا عند

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

جمهرة العلماء، أو جنس الشهب التي يُرْجَم بها الشياطين؛ ويرى الحسن أنّ المراد كلّ كوكب، لأنّ له ضوءاً ثاقباً لا محالة.

يقسم بالسماء ونجمها الثاقب، أنّ كلَّ نفسٍ عليها من أمر الله رقيب ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ وفي هذا التعبير بهذه الصيغة معنى التوكيد، ما من نفس إلاّ عليها حافظ يراقبها ويحصي عليها، ويحفظ عنها، وهو موكل بها بأمر الله. وقد خصّ النفس هنا لأنها مستودع الأسرار والأفكار، وهي التي يناط بها العمل والجزاء.

[الآيات ٥ ـ ٧]: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾.

فَلْيَنْظُرِ الانسان من أيّ شيء خُلِق، والى أيّ شيء صار، إنّه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ خلق من هذا الماء الذي يجتمع من صُلب الرجل، وهو عظام ظهره الفقارية، ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العُلْويّة. ولقد كان هذا سرّاً مكنوناً في عِلْمِ الله لا يعلمه البشر، حتّى كان القرن العشرون، حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته، وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية يتكوّن ماء الرجل، وفي عظام الصدر العلويّة يتكوّن ماء المرأة، حيث يلتقيان في قرار مكين، فينشأ منهما الإنسان.

«وقد ثبت في علم الأجنّة أنّ البُوَيْضة ذات الخليّة الواحدة تصير عَلَقَةً ذات خلايا عدّة، ثمّ تصير العلقة مُضْغة ذات خلايا أكثر عدداً، ثمّ تصير المضغة جنيناً صغيراً وُزّعت خلاياه الى طبقات ثلاث، يخرج من كل طبقة منها مجموعة من الأنسجة المتشابهة في أوّل الأمر، فاذا تمّ نموّها كوّنت جسم الإنسان.

«وما وراء هذه اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق، حشود لا تحصى من العجائب والغرائب، في خصائص الأجهزة والأعضاء، تشهد كلها بالتقدير والتدبير، وتشي باليد الحافظة الهادية المعينة، وتؤكّد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها سبحانه وتعالى بالسماء والطارق، كما تمهّد للحقيقة التالية، حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدّقها المشركون، المخاطَبُون أوّل مرة بهذه السورة».

[الآيـــات ٨ ـ ١٠]: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾: إنّ الذي قدر على خلق الانسان وأنشأه ورعاه، لَقادرٌ على رجعه إلى الحياة بعد الموت، وإلى التجدّد بعد البلى؛ فالنشأة الأولى تشهد بقدرته وحكمته، هذه النشأة البالغة الدقة والحكمة، تذهب كلّها عبثاً إذا لم تكن هناك رجعة لِتُختَبَرَ السرائر، وتُجْزى جزاءها العادل.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ تُبلى: أي تختبر وتمتحن، والمراد تظهر. و﴿ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ ما يُسَرُّ في القلوب من العقائد والنيّات، وما خفي من الأعمال، واحدها سريرة.

وقال الأحوص:

سيبقى لها في مُضمَرِ القلب والحشا
سريرةُ وُدٍّ يوم تبلى السرائرُ

إنّ الله سبحانه قادر على إعادة الإنسان للحياة يوم تتكشف السرائر، وتظهر الخفايا، ويتجرّد الإنسان من كل قوة ومن كل عون.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ فلا يكون للإنسان قوّة ذاتيّة أو مَنَعَةٌ من نفسه يمتنع بها، وما له من ناصر خارج ذاته ينصره ويحميه ممّا حتّم أن يقع عليه.

والخلاصة: أنّ القوة التي بها يدافع الانسان عن نفسه، إمّا من ذاته، وقد نفاها بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ [الآية ١٠]، وإمّا من غيره وقد نفاها بقوله: ﴿وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾. وبذلك يحشر الانسان منفرداً، مكشوف السرائر، متجرّداً من القوة والنصير.

[الآيات ١١ ـ ١٤]: يقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات المطر الذي ينزل منها، وقد كان أصله ماء الأرض فتبخّر وصَعِدَ إلى السماء، ثمّ رجع منها مطراً إلى الأرض، لِيُحييها بعد موتها؛ ويقسم بالأرض التي تتشقّق عن النبات والعيون، يقسم بذلك على أنّ القرآن تنزيل من رب العالمين، وهو القول الفاصل بين الحق والباطل، وليس بالهزل ولا باللهو واللعب.

أخرج التِّرمِذِي والدارمي عن عليّ كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «إنها ستكون فتن. قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال كتاب الله، فيه نبأ مَنْ قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه مِنْ

جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يَخْلَق على كثرة الرَّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي قال فيه الجن لمّا سمعوه: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن]. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرَ، ومن اعتصم به هُدِيَ الى صراط مستقيم».

[الآيـات ١٥ ـ ١٧]: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾. إنهم هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق، يمكرون مكراً شديداً، ويتآمرون على إطفاء نور القرآن، والله سبحانه يقابل كيدهم وتآمرهم بما يحبطه ويبطله، وشتّان ما بين عمل الإنسان وعمل الواحد الدّيّان؛ فالمعركة ذات طرف واحد، وإن صوّرت ذات طرفين لمجرّد المشاكلة، انهم يكيدون... وانا الله أكيد كيداً. أنا المنشئ المبدئ الهادي الحافظ الموجّه المعيد المبتلي القادر القاهر، خالق السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع، أنا الله أكيد كَيْداً، وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين، وبشارة للمؤمنين بأن الله معهم يدبّر أمرهم؛ واذا كان الله معنا فمن علينا؟

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾ لا تستعجل نزول العذاب بهم، ولا تستبطئ نهايتهم، بل أمهلهم قليلاً، وسترى ما يحل بهم من العذاب والنكال.

وفي الآيات إيناس للنبيّ (ص) وللمؤمنين، وبعث للطمأنينة في قلوبهم، وتأكيد لهم بأنّ عناية الله ترعاهم، وأنّ كيد الكافرين ضعيف، وأنّ العاقبة للمتقين: قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان].

مقاصد السورة

١ ـ إثبات حفظ الله للإنسان ورعايته له.

٢ ـ إقامة الأدلّة على أنّ الله قادر على بعث الخلق كَرّةً أخرى.

٣ ـ أن القرآن منزل من عند الله سبحانه، وأن محمداً (ص) رسول الله.

٤ ـ تهديد الكافرين بالعذاب والنّكال.

ترابط الآيات في سورة «الطارق»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الطارق بعد سورة البَلَد، ونزلت سورة البلد بعد سورة ق، وكان نزول سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة الطارق في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)﴾ وتبلغ آياتها سبع عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات حفظ الأعمال على كلّ نفس، وما يتبع هذا من حساب وعقاب، وبهذا توافق السورة السابقة في أنها في سياق الإنذار أيضاً، وقد ذكرت بعدها لهذه المناسبة.

إثبات حفظ الأعمال
الآيات [١ ـ ١٧]

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾ فأقسم بهذا على أن كل نفس عليها حافظ من الملائكة يحفظ أعمالها؛ ثمّ أمر الإنسان أن ينظر في بدء خلقه ليعرف أنّه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة، وهي عظام الصدر والنّحر، وليعرف أيضاً أنه قادر على

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

رجعه ليحاسبه على أعماله؛ ثم أقسم جلَّ وعلا بالسماء ذات الرجْع أي المطر، والأرض ذات الصَّدْع أي الانشقاق عن النبات، أن ما أنذر به من هذا لقول فصل لا هَزْلَ فيه؛ ثم ذكر سبحانه أنهم يكيدون لدينه وأنه يكيد لهم كيداً: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾.



المبحث الثالث

مكنونات سورة «الطارق»[*]

١ ـ ﴿النَّجْمُ﴾ [الآية ٣].

قيل: زُحَل.

وقيل: الثّريّا.

حكاه ابنُ عَسْكَر[1].



(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) انظر «تفسير الطبري» ٩١/٣٠.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الطارق»(*)

إنْ قيل: أين جواب القسم؟

قلنا ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾ [الآية ٤]. فإن بمعنى ما. ولمّا بالتشديد بمعنى: إلا فيكون المعنى ما كل نفس إلاّ عليها حافظ؛ ولما بالتخفيف ما فيه زائدة، وإن هي المخففه من الثقيلة، فيكون المعنى إن كل نفس لعليها حافظ.

فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الآية ٥] بما قبله؟

قلنا: وجهه أنه لما ذكر سبحانه أنّ على كل نفس حافظاً أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره ونشأته الأولى، ليعلم أنّ مَنْ أنشأه قادر على إعادته ومجازاته، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، فلا يُمْلَى على حافظه إلاّ ما يَسُرُّه في عاقبته.

فإن قيل: ما الحكمة في الجمع بين مَهِّلْ و«أمْهِلْ» ومعناهما واحد؟

قلنا: التأكيد، وإنما خولف بين اللفظين طلباً للخفّة.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «الطارق»(*)

في قوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝﴾ استعارة. لأنّ الطارق ههنا كناية عن النجم. فحقيقة الطارق: الإنسان الذي يَطْرُقُ ليلاً. فلمّا كان النجم لا يظهر إلاّ في حال الليل حَسُن أن يسمّى طارقاً. وأصل الطَّرق: الدقُّ. ومنه المِطْرَقَة. قالوا: وإنّما سُمّي الآتي بالليل طارقاً، لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدّقّ أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طُروقه، والإيذان بوروده.

وفي قوله سبحانه: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝﴾ استعارة. وحقيقة هذا الماء أنه مدفوق لا دافق. ولكنه خرج على مثل قولهم: سرٌ كاتم، وليل نائم. وقد مضت لهذه الآية نظائر كثيرة.

وعندي في ذلك وجه آخر، وهو أنّ هذا الماء لمّا كان في العاقبة يؤول إلى أن يَخرج منه الإنسان المتصرّف، والقادر المميّز، جاز أن يَقْوى أمره فيوصَف، بصفة الفاعل لا صفة المفعول، تمييزاً له عن غيره من المياه المهراقة، والمائعات المدفوقة. وهذا واضح لمن تأمّله.

وقوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝﴾ استعارة. والمراد بها صفة السماء بأنها ترجع بدرور[1] الأمطار، وتعاقب الأنواء،

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) درت الأمطار دروراً: هطلت.

مرّة بعد مرة وتُعطي الخيرَ حالةً بعد حالة.

وقد قيل: إنّ الرَّجع الماءُ نفسُه. وأنشدوا للمتنخل[1] الهُذَلي يصف السيف:

أبـيـضُ كـالـرَّجْـع رُسـوبٌ إذا
مـا ثـاخَ فـي مُـحـتـفَـل يَـخـتـلـي

والـمـراد بـالأرض ذاتِ الـصَّـدْع: انصداعُها عن النبات، وتشقُّقُها عن الأعشاب؛ وأنشد صاحب «العين»[2] لبعض العرب:

وجـاءت سِـلْـتِـمٌ لارَجْـعَ فـيـهـا
ولا صَـدْعٌ فـتـحـتـلـبُ الـرُّعـاءُ

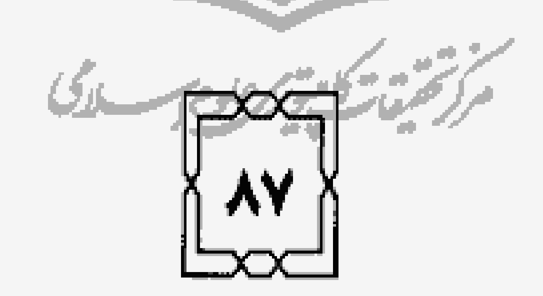
فالرجع: المطر والصَّدْع: العشب، والسِّلْتِمُ: السنة المجدبة.



(١) هو مالك بن عويمر الهذلي، من أشهر شعراء بني هذيل. والبيت في «ديوان الهذليين» جـ ٢ ص ١٢. والرجع الغدير فيه ماء المطر. وثاخ مثل ساخ: أي غاب. والمحتفل: معظم الشيء ويختلي: يقطع. والرسوب: الذي إذا وقع غَمَّضَ مكانه لسرعة قطعه.

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام اللغة والأدب وواضع علم العروض، وكان أستاذاً لسيبويه النحوي المشهور، ولد في البصرة ومات بها سنة ١٧٠هـ. وعاش حياته فقيراً صابراً. قال فيه النضر بن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه. واشتهر بكتاب «العين» في اللغة.

سورة الأعلىٰ



٨٧



أهداف سورة «الأعلى»(*)

سورة الأعلى سورة مكّيّة، آياتها ١٩ آية، نزلت بعد سورة التكوير. وهي أنشودة سماوية فيها تسبيح بحمد الله، وبيان دلائل قدرته، وإثبات الوحي الإلٰهي، وتقرير الجزاء في الآخرة، وبيان الوحدة بين الرسالات السماوية، واشتمال الرسالة المحمدية على اليسر والسماحة، وكل واحدة من هذه تحتها موحيات شتّى، ووراءها مجالات بعيدة المدى.

وفي صحيح مسلم: أنّ رسول الله (ص) كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية]، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما.

وفي رواية للإمام أحمد عن الإمام علي كرم الله وجهه: «أن رسول الله (ص) كان يحبّ هذه السورة، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

مع آيات السورة

[الآيـــات ١ ـ ٥]: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾.

التسبيح هو التمجيد والتنزيه، واستحضار معاني الصّفات الحُسْنَى لله، والحياة بين إشعاعاتها وفيوضها، وإشراقاتها ومذاقاتها الوجدانية بالقلب والشعور.

يقول الامام محمد عبده: «واسم الله

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

هو ما يمكن لأذهاننا أن تتوجّه إليه به، والله يأمرنا بتسبيح هذا الاسم، أي تنزيهه عن أن يكون فيه ما لا يليق به من شبه المخلوقات أو ظهوره في واحد منها بعينه، أو اتّخاذه شريكاً أو ولداً أو ما ينحو هذا النحو، فلا نوجه عقولنا إليه إلاّ بأنه خالق كل شيء، المحيط علمه بدقائق الموجودات».

والخطاب في السورة موجّه إلى رسول الله (ص)، وفيه من التلطّف والإيناس ما يجلّ عن التعبير، وقد كان (ص) ينفّذ هذا الأمر فور صدوره.

وحينما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة] قال النبي (ص): اجعلوها في ركوعكم، أي قولوا في الركوع: سبحان ربي العظيم، ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قال النبي (ص): اجعلوها في سجودكم، أي قولوا في السجود: سبحان ربي الأعلى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ الذي خلق كلّ شيء فسوّاه وأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه بلا تفاوت ولا اضطراب، كما تراه يظهر لك من خلق السماوات والأرض.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ أي قدر لكلّ حيّ ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع بما فيه منفعة له، ووجه الهرب بما يخشى غائلته.

«وكلّ شيء في الوجود سَوِيّ في صنعته، كامل في خلقته، مُعَدّ لأداء وظيفته، مقدّر له غاية وجوده، وهو ميسّر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق. والأشياء جميعها مجتمعة كاملة التنسيق، ميسّرة لكي تؤدّي في تجمّعها دورها الجماعي، مثلما هي ميسّرة فرادى لكي تؤدّي دورها الفردي».

جاء في كتاب «العلم يدعو إلى الايمان» ما يأتي: «إنّ الطيور لها غريزة العودة إلى الوطن، فعصفور الهزار الذي عشّش ببابك يهاجر جنوباً في الخريف، ولكنّه يعود إلى عشّه في الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم الطيور إلى الجنوب، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق أرض البحار، ولكنّها لا تضل طريقها؛ والنحلة تجد خليّتها مهما طمست الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار كل دليل يُرى؛ وأنت إذا تركت حصانك العجوز وحده فإنه يلزم الطريق مهما اشتدت ظلمة الليل، وهو يقدر أن يرى ولو في غير وضوح؛

والبومة تستطيع أن ترى الفأر الدافئ اللطيف، وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل، ونحن نقلب الليل نهاراً بإحداث إشعاع في تلك المجموعة التي نسمّيها الضوء».

«والكلب بما أوتي من أنف فضولي، يستطيع أن يحس الحيوان الذي مرّ».

«وسمك (السلمون) يمضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره الخاص به، والأكثر من ذلك أنه يصعد إلى جانب النهر الذي يصبّ عنده النُّهير الذي ولد فيه. فما الذي يجعل السمك يرجع الى مكان مولده بهذا التحديد؟».

إنـه الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

وقد سجل البشر كثيراً من إبداع الخلقة، في عوالم النبات والحشرات والطيور والحيوان، في هذا الوجود المشهود الذي لا نعرف عنه إلا أقلّ القليل، ووراءه عالم الغيب بما فيه من كمال وجلال؛ فسبحان الله الخلاق العظيم.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤﴾ والمرعى كلّ نبات، وما من نبات إلاّ وهو صالح لخلق من خلق الله. فهو هنا أشمل ممّا نعهده من مرعى أنعامنا، فالله خلق هذه الأرض، وقدّر فيها أقواتها لكلّ حيّ يدب فوق ظهرها أو يختبئ في جوفها، أو يطير في جوّها، والنبات يتحايل على استخدام وكلاء لمواصلة وجوده، دونما رغبة من جانبهم، كالحشرات التي تحمل اللُّقاح من زهرة الى أخرى، والرياح، وكل شيء يطير أو يمشي، ليوزّع بذوره.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾ والغثاء هو الهشيم، أو الهالك البالي، والأحوى: الذي يميل لونه إلى السواد، فهو سبحانه قد أحكم كل شيء خلقه، ما يبقى وما يفنى.

«فنحن مأمورون أن نعرف الله جل شأنه، بأنه القادر العالم الحكيم، الذي شهدت بصفاته هذه آثاره في خلقه، التي ذكرها في وصف نفسه بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ الـــخ، وأن لا نُدخل في هذه الصفات معنىً ممّا لا يليق به، كما أدخل الملحدون الذين اتّخذوا من دونه شركاء أو عرفوه بما يشبه به خلقه؛ وإنّما توجّه إلينا الأمر بتسبيح الاسم، دون تسبيح الذات، ليرشدنا الى أن مَبْلَغ جهدنا، ومنتهى ما تصل إليه عقولنا، أن نعرف الصفات

بما يدلّ عليها؛ أمّا الذات فهي أعلى وأرفع من أن تتوجّه عقولنا إليها إلاّ بما نلحظ من هذه الصفات التي تقوم عليها الدلائل، وترشد إليها الآيات، ولهذا أمرنا بتسبيح اسمه تكليفاً لنا بما يَسَعُهُ طَوْقُنا، والله أعلم».

[الآيتان ٦ و٧]: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سننزل عليك كتاباً تقرأه، ولا تنسى منه شيئاً بعد نزوله عليك.

وهي بشرى للنبي (ص)، تريحه وتطمئنه على هذا القرآن العظيم الجميل الحبيب إلى قلبه، الذي كان يندفع بعاطفة الحبّ له، وبشعور الحرص عليه، وبإحساس التبعة العظمى فيه، إلى ترديده آية آية وراء جبريل، وتحريك لسانه به خيفة أن ينسى حرفاً منه، حتّى جاءته هذه البشائر المطمئنة بأنّ ربّه سيتكفّل بهذا الأمر عنه. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية ٧] أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، أما ما لا ينسخ فإنّه محفوظ في قلبك.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ وكأنّ هذا تعليل لما مرّ في هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء، فكلّها ترجع إلى حكمة يعلمها من يعلم الجهر وما يخفى، ويطّلع على الأمر من جوانبه جميعاً، فيقرّر فيها ما تقتضيه حكمته، المستندة إلى علمه بأطراف الأمر جميعاً.

[الآية ٨]: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ أي نوفّقك للشريعة السمحة التي يسهل على النفوس قَبُولُها، ولا يصعب على العقول فهمها.

يسر الشريعة الإسلامية

يسّر الله سبحانه القرآن للقراءة وللعمل بأحكامه، ويسّر الشريعة، ويسّر الأحكام وجعلها في طاقة الناس، ولا حَرَجَ فيها ولا عَنَتَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾ [القمر]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج/ ٧٨]. وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة/٦]. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة/٢٨٦].

وكان النبيّ (ص) سهلاً سَمْحاً مؤلّفاً محبّباً، وما خُيّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فكان أبعد الناس عنه، وكان سلوك النبي (ص)

وهديه يعبّران عن اختيار اليسر، وقلة التكلف في اللباس والطعام والفراش وكل أمور الحياة، فكان (ص) يلبس لكل موطن ما يناسبه، فلَبِسَ العمامة والقَلَنْسُوة في السلم، ولَبِسَ المغفر وغطى رأسه ووجهه بحلقات الحديد في الحرب. جاء في «زاد المعاد» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزيه عن هديه (ص) في ملابسه: «والصواب أنّ أفضل الطرق طريق رسول الله (ص)، التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها، وهي أنّ هَدْيَه في اللباس أن يلبس ما تيسّر من اللباس من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتّان تارة، ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر، ولبس الجبة والقباء، والقميص والسراويل، والإزار والرداء، والخف والنعل، وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة... الخ».

وقال عن هديه (ص) في نومه وانتباهه: «كان ينام على فراشه تارة، وعلى النطع[1] تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود».

وقال في هديه في الطعام: «وكذلك كان هديه (ص) وسيرته في الطعام، لا يردّ موجوداً، ولا يتكلّف مفقوداً، فما قُرّب إليه شيء من الطيّبات إلاّ أكله، وما عاب طعاماً قط: إن اشتهاه أكله، وإلاّ تركه.

فقد أكل الحلوى والعسل ـ وكان يحبّهما ـ وأكل الرُّطَب والتمر، وأكل الثريد بالسمن وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد ـ وكان يحبه ـ، ولم يكن يَرُدُّ طيّباً ولا يتكلّفه، بل كان هديه أكل ما تيسّر، فإن أعوزه صبر... الخ».

والأحاديث النبوية التي تحضّ على اليسر والسماحة، والرفق في تناول الأمور كثيرة جداً يصعب تقصيها، منها قوله (ص): «إنّ هذا الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلاّ غَلَبَهُ»، أخرجه البخاري. «لا تشدّدوا على أنفسكم فَيُشَدَّد عليكم فإن قوماً شدّدوا على أنفسهم فشُدِّد عليهم» أخرجه أبو داود.

(١) النطع: البساط.

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإنّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» أخرجه البخاري. وفي التعامل يقول (ص): «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى وإذا اقتضى» أخرجه البخاري. «المؤمن يَألَف ويُؤلَف»، أخرجه الدارقطني. «إن أبغض الرجال الى الله الألدّ الخصم»، أخرجه الشيخان.

وسيرة الرسول (ص) كلّها صفحات من السماحة واليسر، والهَوادة واللين، والتوفيق إلى اليسر في تناول الأمور جميعاً.

«اختلف معه أعرابيّ، فأخذ النبيُّ الأعرابيَّ إلى بيته وزاده في العطاء حتى رضي، وأعلن عن رضاه أمام الصحابة أجمعين».

ولقد كان النبيّ كريم النفس، ميسّراً لحمل الرسالة في أمانة ويسر، ومودّة ورحمة، وعطف على الناس وحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]؛ وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وكان عليه الصلاة والسلام رحمة مهداة، فقد حارب لصدّ العدوان، وتبليغ الدعوة، ومنع الاضطهاد والفتنة عن الضعفاء والمستضعفين؛ ومع ذلك كان آية في الإنسانية، فكان يَنْهَى عن قتل النساء والأطفال، ويَنْهَى عن الغدر والخيانة، ويحثّ على الوفاء بالعهد في السلم والحرب، ولا عجب فقد جمع المكارم والمحامد، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

[الآية ٩]: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ لقد يسّره الله لِلْيُسْرى، لينهض بالأمانة الكبرى، ليذكّر الناس فلهذا أعدّ، ولهذا بشّر، فذكّر حيثما وُجِدت فرصة للتذكير، ومنفذاً للقلوب ووسيلة للبلاغ.

قال النيسابوري في تفسير الآية: إن تذكير العالم واجب في أوّل الأمر، وأمّا التكرير فالضابط فيه هو العُرْف، فلعلّه إنّما يجب عند رجاء حصول المقصود، فلهذا أُردِف بالشرط حيث قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾.

وقال الإمام محمد عبده: «وليس الشرط قيداً في الأمر فقد أجمع أهل الدين ـ سلفهم وخلفهم ـ على أنّ

الأمر بالتذكير عامّ، نفعت الذكرى أم لم تنفع، وعمله (ص) شاهد على ذلك».

[الآيـــــة ١٠]: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾، ذلك الذي يستشعر قلبه التقوى فيخشى غضب الله وعذابه، فاذا ذُكِّر ذَكَرَ، واذا بُصِّر أبْصَرَ، وإذا وُعِظَ اعتبر.

[الآيـــتـــان ١١ و١٢]: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي ويبتعد عن هذه التذكرة، المعاند المصرّ على الجحود عناداً واستكباراً، حتى مات قلبه وشقيت روحه، فسيلقى النار الكبرى، وهي نار جهنم، وهي كبرى إذا قيست بنار الدنيا، أي هي كبرى لشدّتها ومدّتها وضخامتها، حيث يمتد بقاؤه فيها، فلا هو ميت يجد طعم الراحة، ولا هو حي فيحيا حياة السعادة. تقول العرب: لمن ابتلي بمرض أقعده: لا هو حيّ فيرجى، ولا ميت فينعى.

[الآيـــتـــان ١٤ و١٥]: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾، قـــد أدرَكَ الفَلاحَ من تطهّر من كلّ رجس ودنس، وأيقن بالحقّ وسعِدَ بالإيمان، فهو في فَلاح وسعادة بذكره اسم الله، وبصلاته وخشوعه لله، واعتماده عليه؛ فهو في فلاح في الدنيا لأنه عاش موصولاً بالله، مؤدّياً للصلاة، مراقباً مولاه، وهو في فلاح في الآخرة، بنجاته من النار الكبرى، وفوزه بالنعيم والرضا.

[الآيـــتـــان ١٦ و١٧]: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾، بل أنتم، لِقِصَرِ أنظاركم، تؤثرون الفانية على الباقية. والحال أنّ الآخرة أفضل من الدنيا في نوعها، وأبقى في أمدها، ولو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لَوَجَبَ إيثار ما يبقى على ما يفنى؛ فكيف الحال والدنيا من خزف يفنى، والآخرة من ذهب يبقى.

[الآيـــتـــان ١٨ و١٩]: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾، أصول هذه الشريعة العادلة، وقواعد المؤاخذة والحساب، وما ورد في هذه السورة من أصول العقيدة الكبرى، هو الذي في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، فدين الله واحد، وإنّما تتعدّد صوره ومظاهره.

ومجمل ذلك أنّ الرسول (ص) ما

جاء إلاّ مذكّراً بما نسيته الأجيال من شرائع المرسلين، وداعياً إلى وجهها الصحيح، الذي أفسده كرّ الغداة ومرّ العَشِيّ، كما طمس معالمه اتّباع الأهواء، واقتفاء سنن الآباء والأجداد.

مقاصد سورة الأعلى

١ ـ تسبيح الله وتنزيهه وبيان قدرته.

٢ ـ وعد الرسول بحفظ القرآن وعدم نسيانه.

٣ ـ وعده بالتوفيق الى الطريقة السهلة الميسرة في الدعوة.

٤ – تكليفه أن يذكر الناس.

٥ ـ الناس صنفان امام الدعوة:

(أ) مستجيب ناجٍ.

(ب) ومعرض هالك.

٦ ـ قواعد العدل وأصول الشريعة متشابهة في القرآن وفي الكتب السماوية السابقة.



المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الأعلى»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الأعلى بعد سورة التكوير، وكان نزول سورة التكوير فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الأعلى في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وتَبْلُغ آياتها تسع عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

نزلت هذه السورة في أوائل ما نزل من السُّوَر بمكة، والغرض منها بيان مِنْهاج الدعوة، ليرغّب الناس في الإيمان بها ويحذّرهم من مخالفتها، فسلكت بهذا مسلك الإنذار والترغيب والترهيب كما سلكته السورة السابقة، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

منهاج الدعوة
الآيات [١ ـ ١٩]

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ فأجمل منهاج الدعوة في ثلاثة أمور: تنزيهه عمّا لا يليق به من الشرك ونحوه، وإنزال القرآن ليكون أصلاً لتلك الدعوة، والهداية للشريعة اليُسْرَى الصالحة للناس جميعاً. ثمّ أمر النبي (ص) أن يعظ بهذا من تنفعه العظة، وذكر أنّه سيتّعظ بها من يخشاه، ويتجنّبها الأشقى الذي يصلى

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

النار الكبرى، ثمّ ذكر أن من يُعرِض عنها يُؤثر الحياة الدنيا عليها مع أن الآخرة خير وأبقى، وأن ما ذكره من هذا موجود في الصحف الأولى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.



أسرار ترتيب سورة «الأعلى»(*)

أقول: في سورة الطارق ذَكَرَ خلق النبات والإنسان في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ⑫﴾، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾ إلى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ⑧﴾. وذَكَرَه في هذه السورة في قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ ②﴾.

وقوله في النبات: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ④ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ⑤﴾.

وقصة النباتِ في هذه السورة أبسط، كما أنّ قصة الإنسان هناك أبسط. نعم، ما في هذه السورة أعمّ، من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الأعلى»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ مع أنه كان (ص) مأموراً بالذكرى، نفعت أو لم تنفع؟

قلنا: معناه إذ نفعت. وقيل: معناه قد نفعت. وقيل: إن نفعت وإن لم تنفع، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. وذكر الماوردي أنها بمعنى «ما»، وكأنه أراد معنى ما الظرفية؛ و«إن» بمعنى «ما» الظرفية ليس بمعروف.

وإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾. مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحد هذين الوصفين؟

قلنا: معناه لا يموت موتاً يستريح به، ولا يحيا حياة ينتفع بها. وقال ابن جرير رحمة الله تعالى عليه: تصعد نفسه إلى حلقومه ثم لا تفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.





سورة الغَاشِيَة

٨٨



أهداف سورة «الغاشية»(*)

سورة «الغاشية» سورة مكّيّة، وآياتها ٢٦ آية نزلت بعد سورة الذاريات، وهي سورة قصيرة الآيات، متناسقة الفواصل، تَطُوفُ بالقلب البشري أمام الآخرة وأحوالها، فأصحاب الجحيم يلقون أشدّ ألوان الألم والعذاب، وأهل الجنة يتمتّعون بألوان النعيم، وصنوف التكريم، ثم تعرض أمام الناظرين مشاهد الكون، وآيات الله المبثوثة في خلائقه، المعروضة للجميع.

ثم تُذَكِّر الناس بحساب الآخرة، وسيطرة الله، وحتمية الرجوع إليه في نهاية المطاف، ذلك كله بأسلوب عميق الإيقاع، هادئ، ولكنه نافذ؛ رصين، ولكنه رهيب.

مع آيات السورة

[الآية ١]: الغاشية هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتغمرهم بأهوالها، والمراد منها هنا يوم القيامة، وقد سبق في هذا الجزء وصف القيامة بالطّامة والصّاخّة، وسيأتي وصفها بالقارعة، بما يناسب طبيعة التذكير والتهديد للمعاندين. والاستفهام هنا لتعظيم الأمر وتقريره، أي هل سمعت قصة يوم القيامة وما يقع فيه؟

وعن عمر بن ميمون، قال: مر النبي (ص) على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني».

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

والخطاب مع ذلك عام لكل من يسمع القرآن.

[الآيات ٢ ـ ٧]: إن وجوه الكفار في هذا اليوم تكون ذليلة، لما يظهر عليها من الحزن والكآبة، وسوف يلقون تعباً وإرهاقاً في النار، بسبب أعمالهم السيئة، وسيدخلون النار المتأجّجة التي تلتهمهم، وإذا عطشوا من شدة حرّها، وطلبوا ما يُطفِئ ظمأهم، سُقُوا ﴿مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: أي من ينبوع شديد الحرارة، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف]. وليس لهم طعام في النار إلاّ من ضَرِيع، والضريع: شجر ذو شوك لائط بالأرض، فإذا كان رطباً سُمّي بالشِّبْرِق، واذا جُنِيَ صار اسمه الضريع. ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سامّ، والأكل منه لون من ألوان العذاب الشديد، يضاف الى ذلك الغِسْلِين والغَسّاق، وباقي الألوان التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

[الآيـات ٨ ـ ١١]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾.

هنا وجوه يبدو عليها النعيم، ويفيض منها الرضى، وجوه تنعم بما تجد، وتشعر بالرضى عن عملها، حينما ترى رضى الله عنها، وهذا النعيم في جنة عالية المقام، مرتفعة على غيرها من الأماكن، لأنّ الجنّة منازل ودرجات بعضها أعلى من بعض، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض.

لا يَسْمَع أهل الجنة لغواً ولا باطلاً، وإنّما يعيشون في جو من السكون والهدوء، والسلام والاطمئنان، والودّ والرضى، والنجاء والسمر بين الأحبّاء، والتنزّه والارتفاع عن كل كلمة لاغية، لا خير فيها ولا عافية، وهذه وحدها نعيم وسعادة؛ وتوحي الجملة بأن المؤمنين في الأرض حينما ينأوون عن اللغو والباطل، إنّما ينعمون بطرف من حياة الجنة، ويتشبّهون بأهلها.

[الآيـة ١٢]: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾، والعين الجارية: الينبوع المتدفّق، والمياه الجارية متعة للنفس وللنظر، وقد افتخر بمثلها فرعون فقال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف].

[الآيـة ١٣]: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ وفيها سرر عالية المكان والمقدار،

ليرى المؤمن وهو عليها ما خوّله الله من النعم.

[الآيــة ١٤]: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ١٤﴾ مصفوفة مهيّأة للشرب، لا تحتاج الى طلب ولا إعداد.

[الآيـة ١٥]: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥﴾. والنمارق الوسائد والحشايا، قد صُفّت بعضها الى بعض، للاتكاء في ارتياح.

[الآيــة ١٦]: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾ و(الزرابيّ) البُسْط (أي السجاجيد) (مبثوثة) أي مبسوطة أو مفرقة هنا وهناك، كما تراه في بيوت أهل النعمة. ذلك كلّه لتصوير النعمة والرفاهية واللذة، وتقريبها لتصوّر الناس في الدنيا، وإلاّ فنعيم تلك الدار نعيم لا يشبهه في هذه الدار نعيم، فمتاع الدنيا قليل، ومتاع الآخرة لا شبيه له ولا مثيل، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف].

فيها النعيم والرضى؛ فيها السرور بالنجاة، والأنس برضوان الله؛ فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

[الآيــة ١٧]: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧﴾.

يلفت القرآن الأنظار الى دلائل قدرة الله سبحانه، وبديع صنعته، فلينظر الإنسان إلى الجِمال كيف خلقت؟ وليتدبّر كيف وجدت على هذا النحو المناسب لوظيفتها، المحقّق لغاية خلقها، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعاً. إنّ الناس لم يخلقوها، وهي لم تخلق نفسها، فلا يبقى إلاّ أن تكون من إبداع المتفرّد بصنعته، التي تدل عليه وتقطع بوجوده، كما تشي بتدبيره وتقديره.

[الآيــة ١٨]: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨﴾ أفلا ينظرون إليها كيف رفعت؟ من ذا رفعها بلا عَمَد، ونشر فيها النجوم بلا عدد، وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال؟

[الآيــة ١٩]: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ والجبل ملجأ وملاذ، وأنيس وصاحب، ومشهد يوحي إلى النفس الإنسانية جلالاً واستهوالاً، حيث يتضاءل الإنسان إلى جواره ويستكين، ويخشع للجلال السّامق الرّزين، «ونَصْب الجبال إقامتها علماً للسّائر، وملجأ من الجائر، وهي في

الأغلب نزهة للناظر»، وأمان وحفظ لتوازن الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء/ ٣١] وقال سبحانه: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ] أي وسيلة لحفظ نظام الأرض من الزلازل والبراكين وغيرها.

[الآيـــــة ٢٠]: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ والأرض مسطوحة أمام النظر، ممهّدة للحياة والسير والعمل، والناس لم يسطحوها كذلك، فقد سطحت قبل أن يكونوا هم، أفلا ينظرون اليها؟ ويتدبّرون ما وراءها، ويسألون مَنْ سَطَحَها ومهّدها هكذا للحياة تمهيداً؟

«وقد أيقظ القرآن الحس، ولفت النظر، إلى مشهد كُلّي يضم منظر السماء المرفوعة، والأرض المبسوطة، وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال منصوبة السّنان، لا راسية ولا ملقاة، وتبرز الجِمالُ منصوبة السّنام: خطّان أفقيان، وخطّان رأسيّان، في المشهد الهائل، في المساحة الشاسعة، وهي لوحة متناسقة الأبعاد والاتّجاهات، على طريقة القرآن في عرض المشاهد، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال».

والآن بعد الجولة الأولى في عالم الآخرة، والجولة الثانية في مشاهد الكون المعروضة، يخاطب القرآن النبيَّ الكريم، بقول الله تعالى:

[الآيات ٢١ ـ ٢٤]: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾.

فَعِظْهُم يا محمّد بآيات القرآن، وذكّرهم بالدعوة إلى الإله الواحد القهّار؛ فالإنسان بفطرته ميسّر للإذعان بقدرة الله جلّ جلاله وبديع صنعته؛ وإنّما قد تتحكّم الغفلات، فتحتاج النفوس إلى مذكر يردها إلى الحقّ والصواب.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ أي إنــمـا بعثت للتذكير فحسب، وليس عليك هداهم؛ إنّ عليك إلا البلاغ، وتبليغ الدعوة وترك الناس أحراراً في اعتقادهم، فلا إكراه في الدين، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ والمسيطر: المتسلّط، فأنت لا تجبرهم على الايمان. قال تعالى ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

فمن تولّى عن الحق، وكفر بآيات

الله، وأنكر الدعوة، فإنّ حسابه، إلى الله المطّلع على القلوب، وصاحب السلطان على السرائر، وسوف يعذّبه الله العذاب الأكبر في الآخرة، وقد يضمّ إلى عذاب الآخرة عذاب الدنيا.

[الآيتان ٢٥ و٢٦]: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾؛ وتُختَم السورة بهذا الايقاع المناسب، لتؤكّد دور الرسول في البلاغ. أمّا الجزاء والحساب فسيكون في يوم الدين، يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، إن إلينا إيابهم ورجوعهم، ثمّ إنّ علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران]. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

مقاصد السورة

١ ـ وصف أهل النار وأهل الجنة.

٢ ـ وصف مشاهد الكون وبدائع الصنعة الإلٰهية.

٣ ـ تحديد مهمّة الرسول (ص) بالبلاغ والدعوة إلى الهداية.



ترابط الآيات في سورة «الغاشية»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الغاشية بعد سورة الذاريات، ونزلت سورة الذاريات بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الغاشية في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ①﴾، وتبلغ آياتها ستاً وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تفصيل الثواب والعقاب في يوم القيامة، وهذا هو سياق الإنذار والترهيب والترغيب، وبهذا تشبه هذه السورة سورة الأعلى في سياقها، وتكون هناك مناسبة في ذكرها بعدها.

تفصيل الثواب والعقاب
الآيات [١ ـ ٢٦]

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ① وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ②﴾ فسأل سؤالَ تهويل عما يكون في يوم القيامة، وأجاب عنه بأنه يكون فيها وجوه خاشعة عاملة ناصبةٌ، تَصْلَى ناراً حامية الخ؛ ووجوه ناعمة، لِسَعْيِها راضية، في جنة عالية الخ؛ ثم أمرهم سبحانه أن ينظروا كيف خَلَقَ الإبل ورَفَعَ السماء، إلى غير هذا مما ذكره ليستدل به على قدرته على بعثهم،

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرخ.

ليلقوا ما ذكره من عقابهم وثوابهم؛ ثمّ أمر النبي (ص) أن يقتصر على تذكيرهم بهذا، ولا يهمّه أن يؤمنوا أو يكفروا لأنه ليس بمُسيطر عليهم، ولكنْ من كفر منهم فيعذّبهم العذاب الأكبر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.



أسرار ترتيب سورة «الغاشية»(*)

أقول: لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢)﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧)﴾، إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالاً، فصّل ذلك في هذه السّورة، فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهلِ كلٍّ منهما، على نمط ما هنالك، ولذا قال هنا: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣)﴾، في مقابل: ﴿ٱلْأَشْقَى (١١)﴾ هناك وقال هنا: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤)﴾ إلى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ (٧)﴾، في مقابل: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢)﴾ هناك. ولما قال هناك في الآخرة: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧)﴾؛ وبسط هنا صفة الجنة أكثر مما بَسَط صفة النار، تحقيقاً لمعنى الخيرية.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «الغاشية»(*)

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾.

والضَّريع: نبات أخضر مُنْتِن.

أقول: وما زال القرويّون في العراق يصفون طعامهم كالتمر والسمك بأنه «مضرّع» أي: منتن فاسد.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.



المعاني اللغوية في سورة «الغاشية»(*)

واحد «نمارق» في الآية ١٥: النُمْرُقَة.

وقال تعالى: ﴿لَٰغِيَةً﴾ [الآية ١١] أي: لا تسمع كلمة لغو، وجعلها (لاغِيَة). والحجة في هذا أنك تقول: «فارِس» لصاحب الفَرَس، و«دارع» لصاحب الدِّرْع، و«شاعر» لصاحب الشِّعْر.

وقال الشاعر[1] [من مجزوء الكامل وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المئتين]:

أَغْرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنْـ ... ـنَكَ لابِنٌ بِالصَّيْفِ تامِرْ[2]

أي: صاحبُ لَبَنٍ، وصاحبُ تَمْرٍ.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) هو الحطيئة. ديوانه ١٦٨، والكتاب وتحصيل عين الذهب ٢/ ٩٠، وإعراب القرآن ٣/ ١٤٧٩.

(٢) في إعراب القرآن والخصائص بـ«غررتني» وفي الكتاب وتحصيل عين الذهب بـ «فغررتني».



لكل سؤال جواب في سورة «الغاشية»(*)

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ مع أن جميع أبدانهم أيضاً تصلى النار؟

قلنا: الوجه يطلق ويراد به جميع البدن، كما في قوله تعالى ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه/١١١] وقيل: إنّ المراد بالوجوه هنا الأعيان والرؤساء، كما يقال: هؤلاء وجوه القوم، ويا وجه العرب: أي ويا وجيههم، ويؤيّد هذا القول ما رُوِي عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن المراد به الرهبان وأصحاب الصوامع.

فإن قيل: كيف ارتبط قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ بما قبله، وأيّ مناسبة بين السماء والإبل والجبال والأرض حتّى جمع بينهما؟

قلنا: لما وصف الله تعالى الجنة بما وصف، عجب من ذلك الكفار، فذكّرهم بعجائب صنعه. وقال قتادة: لمّا ذكر ارتفاع سرر الجنة قالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ [الآية ١٧] اعتبار كيف (خُلِقَتْ) للنهوض بالأثقال وحَمْلِها إلى البلاد البعيدة، وجُعِلَتْ تَبْرُكُ حتّى تَحْمِلَ وتُرْكَبَ عن قرب ويُسْر، ثمّ تنهض بما حملت، فليس في الذّواب ما يحمل عليه وهو بارك ويطيق النهوض إلا هي، وسخّرت لكل من قادها حتّى الصبيّ الصغير، ولمّا

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرخ.

جُعِلَتْ سفائن البر أعطيت الصبر على احتمال العطش عشرة أيام فصاعداً، وجُعِلَتْ ترعى كلّ نبات في البراري والمفاوز ممّا لا يرعاه سائر البهائم، وإنّما لم يذكر الفيل والزّرافة وغيرهما ممّا هو أعظم من الجمل لأن العرب لم يروا شيئاً من ذلك ولا كانوا يعرفونه، ولأنّ الإبل كانت أنفس أموالهم وأكثرها لا تفارقهم ولا يفارقونها؛ وإنما جمع بينها وبين ما بعدها لأن نظر العرب قد انتظم هذه الأشياء في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم وكثرة ملابستهم ومخالفتهم؛ ومن فسّر الإبل بالسحاب والماء، قصد بذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الإبل بالسحاب في السير وفي النَّشْط أيضاً في بعض الأوقات، لا أنه أراد أن المراد من الإبل السحاب حقيقة؛ وقد جاء في أشعار العرب تشبيه السحاب بالإبل كثيراً، وقد شبّهه ابن دريد أيضاً بالسحاب في قصيدته. وقرأ أُبَيُّ بن كعب وعائشة رضي الله عنهما الإبل بتشديد اللام. قال أبو عمرو وهو اسم للسحاب الذي يحمل الماء، والله أعلم.

المعاني المجازية في سورة «الغاشية»(*)

في قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣)﴾ استعارة.

والمراد بالوجوه هٰهنا أرباب الوجوه. ومثل ذلك قوله تعالى: في السورة التي يذكر فيها القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة]. والدليل على ما قلنا إضافته سبحانه النظر إليها، والنَّظَر إنما يصح من أربابها لا منها: لأنه تعالى قال عِقب ذلك: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [القيامة] وكذلك قوله تعالى هٰهنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩)﴾، والرِّضا والسُّخط إنما يوصف به أصحاب الوجوه.

فانكشف الكلام على الغَرَضِ المقصود.

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)﴾ استعارة. وقد مضت لها نظائر كثيرة جداً فيما تقدّم من كلامنا. أي لا تسمع فيها كلمة ذات لَغْو. فلمّا كان صاحب تلك الكلمة يسمّى لاغِياً بقولها، سمِّيت هي لاغية، على المبالغة في وصف اللَّغْو الذي فيها.

وقال بعضهم: معنى ذلك: لا يُسْمَعُ فيها نفسٌ حالفةٌ على كذِب، ولا ناطقةٌ بِرَفَثٍ. لأنّ الجنة لا لَغْوَ فيها و لارَفَثَ، ولا فُحْشَ ولا كَذِبَ.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الفَجْر

۸۹


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الفجر»(*)

سورة «الفجر» سورة مكّيّة، آياتها ٣٠ آية، نزلت بعد سورة «الليل». تبدأ السورة بالقسم، فتُقسم بالفجر، والليالي العشر، والشفع والوتر، على أن الاسلام حقّ، وأنّ البعث والحساب حقّ. وقد ضَرَبَتْ أمثلة بمن أهلكه الله تعالى من المعاندين كعادٍ وثَمُودَ، وذَكَرَتْ تصوّرات الإنسان غير الإيمانيّة، وسوء فهمه لاختبار الله له بهذه النعم. ثم ردّت على هذه التصوّرات، ببيان الحقيقة التي تنبع منها هذه التصورات الخاطئة، وهي الجحود والأَثَرَة وحبّ المال والمتعة.

ثمّ وَصَفَت مشهداً عنيفاً مخيفاً من مشاهد الآخرة، ويظهر فيها جلال الله سبحانه، وتظهر الملائكة للحساب، وتظهر جهنّم أمام العصاة؛ وفي الختام نداء ندِيّ رخِيّ للنفس المطمئنة، بأن تعود الى رضوان الله وجنته.

ومن هذا الاستعراض السريع، تبدو الألوان المتعدّدة في مشاهد السورة، كما يبدو تعدّد نظام الفواصل، وتغيّر حروف القوافي، بحسب تنوّع المعاني والمشاهد.

[فالآيات ١ ـ ٥] تنتهي بالراء مثل ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ والآيات [٦ ـ ١٤] تنتهي بحرف الدال مثل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾.

[والآيتان ١٥ و١٦]: تنتهيان بحرف النون، والآيات الباقية متنوّعة فيها الميم والتاء والهاء.

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

والقسم الأول من السورة فيه نداوة الفجر وجماله. وفضل الليالي العشر، وثواب الشفع والوتر من الصلاة.

والقسم الثاني ينتهي بالدال، وفيه بيان القوة في الانتقام من الظالمين.

وقد ذكر الفيروزآبادي أن معظم مقصود السورة ما يأتي: «تشريف العيد وعَرَفَة، وعَشْرِ المُحَرَّم، والإشارة الى هلاك عاد وثمود وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا والمال الكثير، وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسُّف الإنسان يومئذٍ على التقصير والعصيان؛ وأنّ مرجع العبد المؤمن عند الموت إلى الرحمن والرّضوان ونعيم الجنان».

مع آيات السورة

[الآية ١]: أقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر، وهو الوقت الذي يُدْبر فيه الليل، ويتنفّس الصباح في يُسْرٍ وفرح وابتسامٍ، وإيناسٍ وَدُودٍ نَدِيّ، ويستيقظ الوجودُ رويداً رويداً.

[الآية ٢]: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ قيل هن العشر الأوائل من المُحَرَّم، وقيل العشر الأواخر من رمضان، وفيها ليلة القَدْر، وقيل هي العشر الأوائل من ذي الحجة وفيها يوم عرفة وعيد الأضحى.

[الآية ٣]: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ أي الزوج والفرد من الأعداد، والشفع والوتر من الصلاة، أو أيام التشريق وفيها رَمْيُ الجمار بِمِنًى، فمن شاء رمى في يومين ومن شاء مكث ثلاثة أيام.

واليومان: شَفْعٌ، والثلاثة: وَتْرٌ، قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة/٢٠٣].

[الآية ٤]: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ أي يُسْرَى فيه، كما يقال ليل نائم، أي ينام فيه. وقيل معنى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ أي ينصرم وينقضي مسافراً بعيداً، ويسري راحلاً، وأصله يسري فَحُذفت الياء لدلالة الكسرة عليها في الوصل، وحذفت الياء، مع الكسرة في الوقف.

[الآية ٥]: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾: أي هل في ما أقسمت به، من جمال الفجر، وجلال الأيام العَشْر، وثواب الشفع والوتر، ولطف الليل إذا يَسْرِ، مقنع لذي لبّ وعقل. وسُمّي العَقْل حِجْراً لأنه يمنع صاحبه عن الشر، ويحجره عمّا لايليق.

[الآيات ٦ ـ ٨]: ألم تعلم يا محمّد، أو ألم تعلم أيها المخاطب، كيف فعل ربّك بعادٍ، وهم الذين أُرسِل إليهم هودٌ عليه السلام فكذّبوه، ومن قبيلة عادٍ «إرَمُ» وكانوا طِوال الأجسام، أقوياء الشكيمة، يقطنون ما بين عُمان وحضرموت واليمن، وكانوا بَدْواً ذوي خيام تقوم على عماد، وقد وُصِفوا في القرآن بالقوة والبطش، فقد كانت قبيلة عاد أقوى قبيلة في وقتها وأمْيَزَها: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ⑧﴾ في ذلك الأوان.

[الآية ٩]: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ⑨﴾ وكانت ثمود تسكن بالحِجْرِ، في شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام، وقد قَطَعَتِ الصخر وشَيّدته قصوراً، كما نحتت في الجبال ملاجئ ومغارات.

[الآية ١٠]: ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ [الآية ١٠] وهو حاكم مصر في عهد موسى عليه السلام، وهو صاحب المباني العظيمة والهياكل الضخمة، التي تُمَثّل شكل الأوتاد المقلوبة. وقيل الأوتاد تعني القوّة والمُلْك الثابت، لأنّ الوتد هو ما تشدّ إليه الخيام لتثبيتها، واستعمل هنا مجازاً إشارة إلى بطشه، وحكمه الوطيد الأركان.

وقد جمع الله، سبحانه، في هذه الآيات القصار، مصارع أقوى الجبارين، الذين عرفهم التاريخ.

[الآيات ١١ ـ ١٤]: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ⑪ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ⑫﴾ أيْ هؤلاء الذين سلف ذكرهم، من عادٍ وثمودَ وفرعونَ وجنده، جميعاً تجاوزوا الحدّ وكفروا بنعمة الله عليهم، وأكثروا في البلاد الفساد، وارتكاب المعاصي، فكفروا وقتلوا وظلموا، فأنزل الله عليهم العذاب بشدّة مع توالي ضرباته.

وقد شبه الله تعالى ما يصبّه عليهم من ضروب العذاب بالسَّوْط، مِنْ قِبَلِ أنّ السَّوْط يُضرَبُ به في العقوبات، وماوقع بهم من ألوان العذاب، كان عقوبةً لأنواع الظلم والفساد. إنّ الله سبحانه وتعالى يرى ويحسب ويحاسب، ويجازي وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يَظْلِمُ، وقد سجّل الله عليهم أعمالهم كما يسجّل الراصد الذي يرقب فلا يفوته شيء.

[الآيتان ١٥ و١٦]: إنّ الإنسان اذا اختبره الله سبحانه وتعالى: فوسّع عليه في الرزق، وبسط له في النعمة، ظنّ

غروراً أنَ الله راضٍ عنه، وتخيّل أنه لن يحاسبه على ظلمه وأفعاله.

وإذا امتحنه بالفقر فَضَيَّق عليه رِزْقه وقَتَرَهُ، فلم يوسع عليه، فيقول إنّ ربي أذلّني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهبه له، من سلامة الجوارح، وما رزقه من الصّحة والعافية.

قال الإمام محمد عبده: «وأنت ترى أنّ أحوال الناس إلى اليوم لا تزال كما ذكر الله في هذه الآية الكريمة، فإنَّ أرباب السلطة والقوة يظنون أنهم في أمن من عقاب الله، ولا يعرفون شيئاً من شَرْعِه يمنعهم عن عمل ممّا تسوق إليه شهواتهم، وإنّما يذكرون الله بألسنتهم، ولا تتأثر قلوبهم بهذا الذكر. وقريب من هذه المعاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج].

«تعلم أن المخاطبين بهذه الآيات كانوا يزعمون أنهم على شيء من دين إبراهيم (ع)، أو أنهم كانوا يدّعون أنّ لهم ديناً يأمرهم وينهاهم، ويقرّبهم إلى الله زُلفى، فإذا سمعوا هذا التهديد وذلك الوعيد، وسوست لهم نفوسهم بأن هذا الكلام إنّما ينطبق على أناسٍ ممّن سواهم؛ أمّا هم، فلم يزالوا من الشاكرين الذاكرين غير الغافلين»، فالله جلّ جلاله يردّ عليهم زعمهم ويقيم لهم دليلاً واضحاً على كذب ما تحدّثهم به أنفسهم، ويقول:

[الآية ١٧]: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ أي لو كان غنيّكم لم يَعْمِهِ الطّغيان، وفقيركم لم يطمس بصيرته الهوان، لشاطرتم اليتيم إحساسه، فواسيتموه وعطفتم عليه، حتّى ينشأ كريم النفس.

[الآية ١٨]: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ وقد كان مجتمع مكّة مجتمع التكالب على جمع المال بكافة الطرق، فورثت القلوب القسوة والبخل، وانصرفت عن رحمة اليتيم، وعن التعاون على رحمة المسكين.

[الآية ١٩]: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ والتراث هو الميراث الذي يتركه من يُتَوَفّى، أي إنكم تشتدّون في أكل الميراث حتّى تحرموا صاحب الحقّ حقّه.

[الآية ٢٠]: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ وتميلون إلى جمع المال مَيْلاً شديداً، يصل الى حدّ الشراهة.

«وخلاصة ذلك: أنتم تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، إذ لو كنتم ممّن غلب عليهم حب الآخرة لانصرفتم عمّا يترك الموتى ميراثاً لأيتامهم، ولكنكم تشاركونهم فيه، وتأخذون شيئاً لا كَسْبَ لكم فيه، ولا مَدْخَلَ لكم في تحصيله وجمْعه؛ ولو كنتم ممّن استحبّوا الآخِرَة، لما ضربت نفوسكم على المال، تأخذونه من حيث وجدتموه من حلال أو من حرام. فهذه أدلّة ترشد إلى أنكم لستم على ما ادّعيتم من صلاح وإصلاح، وأنكم على ملّة إبراهيم خليل الرحمن».

[الآيات ٢١ ـ ٢٤]: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾، ودكُّ الأرض تحطيم معالمها وتسويتها، وهو أحد الانقلابات الكونيّة، التي تقع في يوم القيامة.

يرد الله سبحانه وتعالى عن مقالتهم وفعلهم، وينذرهم أهوال القيامة، اذا دُكّت الأرض وأصبحت هباءً منبثاً، وزُلْزِلَتْ زلزالاً شديداً، وتجلّت عظمة الله سبحانه، ونزلت ملائكة كلّ سماء فيصطفّون صفّاً بعد صفّ، بحسب منازلهم ومراتبهم، وكُشفت جهنّم للناظرين، بعد أن كانت غائبة عنهم، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات].

حينئذ تذهب الغفلة، ويندم الإنسان على ما فرّط في حياته الدنيا، ويتذكّر معاصيه، ويتمنّى أن يكون قد عمل صالحاً في دنياه، لينفعه في حياته الآخرة، التي هي الحياة الحقيقية.

«وترى من خلال هذه الآيات، مشهداً ترتجف له القلوب وتخشع له الأبصار، والأرض تُدَكُّ دكّاً، والجبّار المتكبّر يتجلّى ويتولّى الحكم والفصل، وتقف الملائكة صفًّا صفًّا، ثم يُجاء بجهنّم فتقف متأهّبةً هي الأخرى»[١].

وتتبع الحسرة والذكرى الأليمة مَنْ فَرَّطَ في حقوق الله، فيتذكّر بعد فوات الأوان، ويتمنّى أن يكون قد عمل الصالحات.

[الآيتان ٢٥ و٢٦]: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ الوَثاقُ: الشَّدُّ بالأغلال.

في هذا اليوم العصيب نرى لوناً متفرداً من ألوان العذاب، لقد كان

---

(١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، ٣٠/١٥٧، بتصرف.

الجبّارون يملكون أن يعذّبوا من خالفهم في الدنيا، لكن العذاب اليوم في الآخرة لا يملكه إلا الله، وهو سبحانه القهّار الجبّار. الذي يعذّب يومئذ عذابَهُ الفذ الذي لا يملك مثله أحد، والذي يُوثِق وَثاقَهُ الفذ، ويشدّ المجرمين بالأغلال شداً لا يملك مثله أحد.

وعذاب الله ووثاقه يفصلّهما القرآن في مواضع أخرى، وفي مشاهد كثيرة، ولكنّه يجملهما هنا، حيث يصفهما بالتفرّد بلا شبيه من عذاب الخلق جميعاً ووثاقهم، وكأنّ الآية تشير إلى ظلم عادٍ وثمودَ وفرعونَ ذي الأوتاد، وتنبّه إلى أنّ عذاب الطغاة ووثاقهم للنّاس مهما اشتدّ في الدنيا، فسوفا يعذّب الطغاة ويوثقون، عذاباً ووثاقاً وراء التصوّرات والظنون.

وفي وسط هذا الهول المروّع، وهذا العذاب، والوثاق الذي يتجاوز كل تصوّر، تُنادَى النفس المؤمنة من الملأ الأعلى:

[الآيات ٢٧ ـ ٣٠]: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾، ينادي الله، عزّ وجلّ، النفس الثابتة على الحق، أن تعود الى جوار الله، راضيةً عن سعيها، مَرْضِيًا عنها، فتدخل مع العباد الصالحين، ومع الرفقة المؤمنين، حيث يدخلون جميعاً جنة الله، في تكريمٍ ورِضْوان.

وفي هذا النداء الرَّضِيّ ما يمسح آلام هذه النفس، وما يُشعرها بالغبطة مع عباد الله، وجنة الله ورضوانه، فنعم الجزاء، ونعم الثواب، وحَسُنَتْ مرتفقاً.

خلاصة أهداف السورة

تشتمل سورة الفجر على الأهداف والمقاصد الآتية:

١ ـ القَسَم على أنّ عذاب الكافرين واقع لا محالة.

٢ ـ ضَرْب المثل بالأمم البائدة كعادٍ وثَمُودَ.

٣ ـ كثرة النِّعَم على إنسانٍ ليست دليلاً على إكرام الله له، ولا البلاء دليلاً على إهانته وخِذْلانه.

٤ ـ وصف يوم القيامة وما فيه من أهوال.

٥ ـ تَمَنّي الأشقياء العودة إلى الدنيا.

٦ ـ كرامة النفوس الراضية المرضيّة، وما تلقاه من النعيم بجوار ربّه.

ترابط الآيات في سورة «الفجر»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الفجر بعد سورة الليل، ونزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الفجر في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ وتبلغ آياتها ثلاثين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات عذاب الكافرين، وقد جاء أكثرها في إنذارهم وتهديدهم، إلى أن خُتِمَت بشيءٍ من الترغيب لتجمعهما مَعاً، وبهذا يُشْبِهُ سياقُها سياقَ سورة الغاشية، ويكون ذِكْرُها بعدها مناسباً لها.

إثبات العذاب
الآيات [١ ـ ٣٠]

أقسم تعالى بالفجر وما ذكر بعده على أنهم سيعذبون، وانتقل من إثباته بالقسم إلى إثباته بما حصل لأسلافهم من عادٍ وثَمُودَ وفِرْعَوْنَ؛ ثمّ ذكر سبحانه أنه لهم بالمرصاد، فلا يريد منهم إلاّ السعي للمصلحة العامّة في الدّنيا والآخرة؛ وأمّا هم، فلا يريد الواحد منهم إلاّ مصلحته الخاصّة، فإذا أكرمه ونعّمه رضي، وإذا أقْتَرَ عليه سَخِطَ، ثمّ يَبْلُغ في الحِرْص إلى حدّ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

أنه لا يكرم اليتيم، ولا يحضُّ على طعام المسكين، ويجمع المال من حيث يتهيّأ له مِنْ حلال أو حرام؛ وسيعرف عاقبة ذلك إذا جاء يوم القيامة، فيومئذٍ يندم على ما فعل، ويرى عذاباً لا يعذّبه أحد، ووَثاقاً لا يُوثّقه أحد؛ أمّا النفس المطمئنة، فيقال لــهــا: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.



أسرار ترتيب سورة «الفجر»(*)

أقول: لم يظهر لي من وجه ارتباطها سوى أنّ أوّلها كالإقسام على صحّة ما ختم به السورة التي قبلها، من قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]. وعلى ما تضمّنه من الوعد والوعيد. كما أنّ أول «الذاريات» قَسَمٌ على تحقيق ما في «ق»، وأول «المرسلات» قَسَمٌ على تحقيق ما في «عَمّ». هذا، مع أنّ جملة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ هنا، مشابهة لجملة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الآية ١٧] في سورة الغاشية(١).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١) بل هناك وجوه ارتباط أوضح ممّا ذكر المؤلّف. وذلك: أنه تعالى ذَكَرَ في «الغاشية» صفة النار والجنّة مفصلة على ترتيب ما ذكر في سورة الأعلى. ثمّ زاد الأمر تفصيلاً في «الفجر» بذكر أسباب عذاب أهل النار، فضرب لذلك مثلا بقوم عاد، وقوم فرعون، في قوله جلّ وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ إلى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾. ثمّ ذكر بعض عناصر طغيانهم في قوله سبحانه: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ وما بعدها. فكأنّ هذه السورة إقامة الحجّة عليهم.

وكذلك جاء في الغاشية: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

ثم ذكر في «الفجر» مادة تذكير من كان قبلهم من الكفّار، وأنّه سيعذبهم في الآخرة، وأنّ الندم لن ينفعهم شيئاً، فقال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «الفجر»(*)

أخرج سعيد بنُ منصور عن ابن عبّاس قال:

١ ـ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾.

المُحَرَّم، هو فجر السنة[1].

٢ ـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾.

هي عَشر الأضحى. كما أخرجه أحمد والنّسائي عن جابر مرفوعاً.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس[2].

وأخرج عنه أيضاً أنها العشر الأواخر[3] من رمضان.

٣ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية ١٥].

قال ابن جُريج: نزلت في أمية بن خلف أخرجه ابن أبي حاتم.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهَمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» ١٠٧/٣٠ أقوالاً أخرى في معنى «الفجر» هنا، فقيل: هو النهار، وقيل: صلاة الصبح، وقيل: فجر الصباح.

(٢) والطبري ١٠٧/٣٠.

(٣) وذكر الطبري في «تفسيره» أقوالاً في بعض السلف قالوا: بأن «العشر» أوّل السنة من مُحَرَّم. قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عَشْر الأضحى لإجماع الحجّة من أهل التأويل عليه».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الفجر»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾.

حذفت الياء من ﴿يَسْرِ ۝٤﴾ اكتفاء بالكسرة، ذلك أمر يقتضيه تناسب الفواصل والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾...

وقوله تعالى: «حِجْر» أي: عقل. أقول: ومن المفيد أن نشير إلى أن «الحجر» و«الحصاة» من كلمات العقل. ألا يكون هذا لأن العقل وُصِفَ عندهم بالرزانة والرسوخ فاستعير له شيء من مادة صُلْبَة قويّة هي الحَجَر والحصى! لعل شيئاً من هذا!

وليس كما قالوا لأن العقل «يَحْجُر» عنِ التهافت فيما لا ينبغي.

وعندي أن الفعل «حجر»، بمعنى: مَنَع ونَهَى «وُلِدَ» بعد استعارة كلمة «الحجر» للعقل، والله أعلم.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الفجر»(*)

قال تعالى: ﴿بِعَادٍ ۝٦﴾ ﴿إِرَمَ﴾ [الآية ٧] فجعل بعضهم ﴿إِرَمَ﴾[1] اسم عادٍ وبعضهم قرأ ﴿بِعَادٍ ۝٦﴾ فأضافه إلى ﴿إِرَمَ﴾[2] فإمّا أن يكون اسم أبيهم إضافة إليهم، وإمّا بلدة؛ والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الآية ١٦]. وقرأ بعضهم (قَدَّرَ)[3] مثل (قَتَّرَ)؛ وأما (قَدَرَ) فمعناه: يعطيه بالقَدْر.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نُسبت في إعراب ابن خالويه ٧٦ إلى الضّحّاك، وفي المحتسب ٢/ ٣٥٩ الى ابن الزُّبَيْر، وفي الجامع ٢٠/ ٤٤، والبحر ٨/ ٤٦٩ إلى العامّة والجمهور.

(٢) في الشواذ ١٧٣ الى ابن الزبير، وكذلك في المحتسب ٢/ ٣٥٩، وفي الجامع ٢٠/ ٤٤ إلى الحسن وأبي العالية، وفي البحر ٨/ ٤٦٩ إلى الحسن وحده.

(٣) نسبت في معاني القرآن ٣/ ٢٦١ إلى أبي جعفر ونافع، وفي الطبري ٣٠/ ١٨٢ إلى أبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء، وفي الجامع ٢٠/ ٥١ إلى ابن عامر، وفي البحر ٨/ ٤٧٠ إلى أبي جعفر وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه، وابن عامر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الفجر»(*)

إن قيل: لِمَ نُكِّرتِ الليالي العشر دون سائر ما أقسم به الله تعالى، ولِمَ لم تُعَرَّف بلام العهد وهي ليالٍ معلومة؛ فإنها ليالي عَشْر ذي الحِجّة في قول الجمهور؟

قلنا: لأنها مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بفضيلة ليست لغيرها، فلم يُجْمَع بينها وبين غيرها بلام الجنس، وإنما لم تُعرّف بلام العهد لأنّ التنكير أدلّ على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الحج/٣٤] ونظيره قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد] بالتعريف، ثم قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ﴾ بالتنكير، والمراد به آدم وإبراهيم أو محمد صلى الله عليهم أجمعين، ولأنّ الأحسن أن تكون اللّامات كلّها متجانسة، ليكون الكلام أبعد من الإلغاز والتعمية، وهي في الباقي للجنس.

فإن قيل: لِمَ ذم الله تعالى الإنسان على قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الآية ١٥] مع أنه صادق فيما قال، لأن الله تعالى أكرمه بدليل قوله تعالى ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الآية ١٥] ثم إنّ هذا تحدّث بالنعمة، وهو مأمور به؟

قلنا: المراد به أن يقول ذلك مفتخراً على غيره، متطاولاً به عليه، معتقداً استحقاق ذلك على ربّه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.

[القصص/٧٨]، مستدلا به على علوّ منزلته في الدّار الآخرة؛ وكل ذلك منهِيٌ عنه. وأمّا إذا قاله على وجه الشكر والتحدّث بنعمة الله، فليس بمذموم ولا منهيّ عنه.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى في الجملة الأولى: ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ [الآية ١٥] ولم يقل في الجملة الثانية «فأهانه»؟

قلنا: لأنّ بسطِ الرزق إكرامٌ لأنه إنعامٌ وإفضالٌ من غير سابقة، وقَبْضه ليس بإهانة لأنّ ترك الإنعام لا يكون إهانة بل هو واسطة بين الإكرام والإهانة، فإنّ المولى قد يكرم عبده وقد يهينه، وقد لا يكرمه ولا يهينه؛ وتضييق الرزق ليس إلاّ عبارة عن ترك إعطاء القدْر الزائد، ألا ترى أنه يحسن أن تقول: زيد أكرمني إذا أهدى لك هدية، ولا يَحْسُن أن تقول: أهانني إذا لم يُهْدِ لك؟

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية ٢٢] والحركة والانتقال على الله محالان لأنهما من خواصّ الكائن في جهة؟

قلنا: قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: وجاء أمر ربك لأنّ في القيامة تظهر جلائل آيات الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل/٣٣] وقيل معناه وجاء ظهور ربّك لضرورة معرفته يوم القيامة؛ ومعرفة الشيء بالضرورة تقوم مقام ظهوره ورؤيته؛ فمعناه: زالت الشكوك وارتفعت الشُّبَهُ كما ترتفع عند مجيء الشيء الذي كان يُشَكُّ فيه.

المعاني المجازية في سورة «الفجر»(*)

في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ استعارة. والمراد بُسَرى الليل دَوَرَانُ فَلَكِه، وسَيَرَان نجومه حتى يبلغ غايته، ويسبق في قاصيته، ويستخلف النهار موضعه.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ استعارة. والمراد وفرعون ذي المُلْك المتقرّم[1] والأمر المتوطّد، والأسباب المتمهّدة التي استقرّ بها بنيانه، وتمكّن سلطانه، كما تثبُت البيوتُ بالأوتاد المضروبة، والدعائم المنصوبة. وقد مضى نظير ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ هو من مكشوفات الاستعارة. والمراد بها العذابُ المؤلم، والنّكال المُرْمِض. لأنّ السّوط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سبباً للعقوبات الواقعة، والآلام الموجعة.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون معنى ﴿سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ أي أَوْقَعَ عذابٍ يخالط اللحوم والدماء، فَيسُوطُها سَوْطاً، إذا حرّك ما فيها وخَلَطَهُ. فالسَّوْط على هذا القول هُهنا مصدرٌ وليس باسم.

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) المتقرّم: المتأصّل بالسيادة والمجد.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة البَلَد

٩٠


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «البلد»(*)

سورة «البلد» آياتها عشرون، نزلت بعد سورة «ق».

وقد اشتملت على تعظيم البلد الحرام، والرسول الأمين، وتكريم آدم وذريته، وبيان أن الانسان خلق في معاناة ومشقة، في حمله وولادته ورسالته في الحياة، وحسابه في الآخرة.

وجابهت السورة أحد المشركين، وكشفت سوء أفعاله، ورسمت الطريق الأمثل للوصول إلى رضوان الله.

مع آيات السورة

[الآية ١]: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾: أقسم الله عزّ وجل بمكّة، وفيها البيت الحرام والكعبة، وعندها قبلة المسلمين، وفيها زمزم والمقام، والأمن والأمان، قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة/ ٩٧]. معنى قياما: قواماً، أي يقوم عندها أمر الدين، حيث يقدم الحجيج فيطوفون ويسعون، ويؤدّون المناسك، ويشاهدون مهبط الوحي، ويصير الرجل آمناً بدخوله الحرم: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران/ ٩٧].

وقد ذكر القرآن تكريم مكّة في آيات كثيرة، فقد وُلد بها النبي (ص)، وبدأ بها نزول الوحي، ومنها انبثق فجر الإسلام، وإليها يحجّ الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى].

[الآية ٢]: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ وأنت مقيم بهذا البلد، يكرم الله تعالى نبيه محمداً (ص)، الذي جعله خاتم المرسلين، وأرسله هداية للعالمين، وجعل مولده بمكّة؛ وهذا الميلاد يزيد مكّة شرفاً وتعظيماً: لأن أفضل خلق الله يقيم بها، ويحل بين شعابها، ويتنقّل بين أماكنها داعياً الى دين الله، حاملاً وحي السماء، وهداية الناس.

[الآية ٣]: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ أقسم الله بآدم وذريته لكرامتهم على الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء/ ٧٠] وقيل: كل والد ومولود، «والاكثرون على أنّ الوالد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والولد محمد (ص)، كأنه أقسم ببلده ثمّ بوالده ثمّ به».

[الآية ٤]: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ (الكبد): المشقّة والتعب، أي أوجدت الإنسان في تعب ومعاناة في هذه الحياة، فهو في مشقة متتابعة (من وقت احتباسه في الرحم إلى انفصاله، ثمّ إلى زمان رِضاعه، ثم إلى بلوغه، ثمّ ورود طوارق السّرّاء وبوارق الضّرّاء، وعلائق التكاليف، وعوائق التمدّن والتعيّش عليه إلى الموت، ثم إلى البعث، من المساءلة وظلمة القبر ووحشته، ثم إلى الاستقرار في الجنة أو النار، من الحساب والعتاب والحيرة والحسرة) ونظير الآية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق] وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك/ ٢].

[الآيات ٥ ـ ١٠]: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾. (لبدا): أي كثيراً، (النجدين): الطريقين، وهما طريقا الخير والشر.

روي أن هذه الآيات نزلت في بعض صناديد قريش، الذين كان رسول الله (ص)، يكابد منهم ما يكابد، وهو أبو الأشدّ أُسَيْد بن كَلَدَة الجُمَحي، وكان مغترّاً بقوّته البدنيّة، وقيل نزلت في الوليد بن المُغيرة. وسواء أكانت هذه الآيات نزلت في أحدهما أم في غيرهما فإنّ معناها عام.

والمعنى: أيظنّ ذلك الصنديد في قومه، المفتون بما أنعمنا عليه، أن لن يقدر أحد على الانتقام منه، وأن لن يكون هناك حساب وجزاء، فتراه يَجْحَد القيامة، ويتصرّف تصرّف القويّ القادر، فيطغى ويبغي، ويبطش ويظلم، ويفسق ويفجر، دون أن يتحرّج، وهذه هي صفات الإنسان الذي يتعرّى قلبه من الايمان.

ثمّ إنه إذا دعي للخير والبذل يقول: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ وأنفقت شيئاً كثيراً، فحسبي ما أنفقت وما بذلت، أيحسب أنّ عين الله لا تراه، وتعلم أن ما أعطاه الله له أكثر ممّا أنفقه، وتعلم أنه إنّما أنفق رياء وسمعة، وطلباً للمحمدة بين الناس.

ثمّ بيّن الله، سبحانه، جلائل نِعَمِه على هذا الإنسان، وعلى كل إنسان فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ يبصر بهما المرئيات، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ ليعبّر عمّا في نفسه، وليتمكّن من الأكل والشراب، والنفخ والنطق. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ ليختار أيهما شاء، ففي طبيعته الاستعداد لسلوك طريق الخير أو طريق الشر، لأن الله منحه العقل والتفكير، والارادة والاختيار، وميّزه على المخلوقات جميعها، فالكون كله خاضع لله خضوع القهر والغلبة، والإنسان هو المتميّز بالاختيار والحرية، ليكون سلوكه متّسماً بالمسؤولية.

مفردات الآيات ١١ ـ ٢٠:

اقتحم الشيء: دخل فيه بشدة.

العَقَبة: هي الطريق الوعرة في الجبل يصعب سلوكها.

المَسْغَبة: المجاعة.

مَقْرَبة: قرابة.

مَتْرَبَة: يقال تَرِبَ الرجل اذا افتقر.

المرحمة: الرحمة.

أصحاب الميمنة: السعداء.

أصحاب المَشْأمة: الأشقياء.

مُؤْصَدة: مطبقة عليهم، من أوصدت الباب إذا أغلقته.

[الآيات ١١ ـ ١٣]: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ بعد أن بيّن السياق جليل نعم الله تعالى على الإنسان، وبخاصة الأغنياء، أخذ يحثّ أغنياء مكة على صلة الرحم، والعطف على المساكين، والمشاركة في عتق الرقاب، والتخفيف عن العبيد والإماء.

وقد بدأت الآيات بالحث والتحريض على اقتحام العقبة، ثمّ استفهم عنها في أسلوب يراد به التفخيم والتهويل، ثم أجاب بأنها فك رقبة، وهي عتق العبد أو الإعانة على عتقه، والمشاركة في نقله من عالم الأرقاء الى عالم الأحرار.

[الآية ١٤]: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ أو إطعامٌ في أيام عوز ومجاعة.

[الآية ١٥]: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾: إطعام يتيم في يوم المجاعة.

[الآية ١٦]: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ أو إطعام مسكين عاجز عن الكسب، لصقتْ بطنه بالتراب من شدة فقره.

[الآية ١٧]: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾، أي جمع الى الصفات المتقدّمة الإيمان الصادق، والصبر الجميل وحث الناس عليه والوصية به، والتواصي بالرحمة والعطف.

ونلحظ أن التواصي بالصبر أمر زائد على الصبر، ومعناه إشاعة الثبات واليقين والطمأنينة بين المؤمنين. وكذلك التواصي بالمرحمة، فهو أمر زائد على المرحمة، ويتمثل في إشاعة الشعور بواجب التراحم، في صفوف الجماعة، من طريق التواصي به، والتحاض عليه، واتّخاذه واجباً جماعياً فردياً في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع. فمعنى الجماعة قائم في هذا التوجيه، لأنّ الإسلام دين جماعة، ومنهج أمة، مع وضوح التبعة الفردية والحساب الفردي فيه وضوحاً كاملاً.

[الآية ١٨]: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ أولئك الذين يقتحمون العقبة، كما وصفها القرآن وحدّدها، هم أصحاب الميمنة، وأهل الحظ والسعادة، وهم أصحاب اليمين الفائزون.

[الآية ١٩]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وجحدوا دلائل قدرتنا، وأنكروا آيات الله العظام، من بعث وحساب، ونشور وجزاء، وكذبوا بآيات القرآن ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩﴾ هم أصحاب الشمال، أو هم أصحاب الشؤم والنحس والخسران.

[الآية ٢٠]: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ يصلون ناراً مطبقة عليهم، ومغلقة أبوابها لا يستطيعون الفرار منها،

وسيخلدون فيها.

هذه هي الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني، وفي التصور الإيماني، تعرض في هذه السورة الصغيرة، بهذه القوة وبهذا الوضوح، وهذه هي خاصيّة التعبير القرآني الفريد.

مقاصد السورة

١ ـ القَسَمُ بمكّة وبالنبيّ الكريم بياناً لفضله.

٢ ـ ما ابتُلي به الإنسان في الدنيا من النَّصَبِ والتعب.

٣ ـ اغترار الإنسان بقوته.

٤ ـ تَعْدَاد أَنْعُم الله على الإنسان، كالعين واللسان والعقل والفكر.

٥ ـ بيان سبيل النجاة الموصلة إلى السعادة.

٦ ـ كفران الآيات سبيل الشقاء.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترابط الآيات في سورة «البلد»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البَلد بعد سورة «ق»، ونزلت سورة «ق» فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة البلد في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١)﴾ وتبلغ آياتها عشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة ذَمُّ الحرص على الدنيا، وإنذار من يحرص عليها بأنه من أصحاب المشأمة، وتبشير من لا يحرص عليها بأنه من أصحاب الميمنة، وهذا هو وجه ذكرها بعد السورة السابقة، لأنها تأخذ في سياقها، وتسلك في الترغيب والترهيب مسلكها.

ذم الحرص على الدنيا
الآيات [١ ـ ٢٠]

قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾. فأقسم بمكّة وما ذكر بعدها على أنّ الانسان خُلِقَ في تعب وشدّة، وأنكر عليه أن يغترّ بقوّته وهذه حاله في الدنيا، وأن يستكثر ما ينفقه من القليل فيها، كأنّه يحسب أنه لا يرى ما ينفقه، ثم ذكر جلّ وعلا أنه أنعم عليه بنعمة البصر والكلام والعقل ليتبصّر بها،

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفنّي في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

ويقتحم عقبة الحرص على الدنيا ببذل المال في فكّ رقبة، أو إطعام في مجاعة، ويجمع إلى هذا أن يكون من الذين آمنوا وتواصَوْا بالصبر والمرحمة، وأولئك أصحاب الميمنة، والذين كفروا هم أصحاب المشأمة: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾.



المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «البلد»[*]

أقول: وجه اتصالها بما قبلها، أنه لَمّا ذَمّ فيها من أَحَبَّ المال، وأكثر التراث، ولم يحضّ على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تُطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة[1].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) ومن التناسب أيضاً بين هذه السور وسابقتها: أنه تعالى لما ذكر في تلك ابتلاء الإنسان بضيق الرزق بسبب عدم إطعام المسكين، وعدم إكرام اليتيم، ونعى عليه حبّ المال، ذكر في هذه ندمه يوم القيامة، وتذكّره حبس المال، وذلك حين يقول: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝﴾ [الفجر].


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكنونات سورة «البلد»[*]

١ ـ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾.

قال ابنُ عبّاس: هو مكّة. أخرجه ابنُ أبي حاتم.

٢ ـ ﴿وَوَالِدٍ﴾.

قال أبو صالح: آدم. أخرجه ابن أبي حاتم[1].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) والطبري في «تفسيره» ٣٠/١٢٥.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «البلد»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾.

و(المتربة): الفقر، وتَرِبَ إذا افتقر، والأصل التصق بالتراب.

وأمّا «أتْرَبَ» فمعناه استغنى، أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة.

وهذا شيء من فوائد استعمال الهمزة في الأفعال.

ومن المفيد أن نشير إلى أن العربية جرت على فهم خاص، في اختراع المعاني: ألا ترى أن شيئاً من هذا ولد الفعل «أدْقَع»، أي: صار مُدْقِعاً، أي: فقيراً. والأصل: التصق بالدَّقْعاء أي: الأرض أو التراب.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «البلد»(*)

قال تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ [الآية ٢] فمن العرب من يقول «أنتَ حِلٌّ» و«أنتَ حَلال» و «أَنْتَ حِرْمٌ» و«أنتَ حَرامٌ» و«هو المُحِلّ» و«المُحْرِم» وتقول: «أحْلَلْنا» و«أحْرَمْنَا» وتقول «حَلَلْنا» وهي الجَيِّدة.

وقال تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: «العقبة فكُّ رقبةٍ» ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ وقرأ بعضهم (فكَّ رقبةً)[1]، وليس هذا بذاك و﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[2] هو الجيّد.

وقال تعالى ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ بنصب «اليتيم» على «الإطعام».

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ أي: «فلَمْ يَقتَحِم» كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ [القيامة/ ٣١] أي: «فلم يُصَدِّقْ».

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.

(١) نسبها في معاني القرآن ٣/ ٢٦٥ إلى الحسن البصري، وابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، وفي السبعة ٦٨٦، والكشف ٢/ ٣٧٥، والتيسير ٢٢٣، والجامع ٢٠/ ٧٠، إلى أبي عمرو والكسائي وابن كثير، وفي البحر ٨/ ٤٧٦ كذلك.

(٢) نسبت في معانى القرآن ٣/ ٢٦٥ إلى العوام، وفي السبعة ٦٨٦ الى ابن عامر ونافع وعاصم وحمزة وأبي عمرو في رواية، وفي الكشف ٢/ ٣٧٥، والتيسير ٢٢٣، والجامع ٢٠/ ٧٠ إلى غير ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وفي البحر ٨/ ٤٧٦ إلى بعض التابعين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «البلد»(*)

إن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ ولم يقل سبحانه وتعالى «ومن ولد»؟

قلنا: لأن في «ما» من الإبهام ما ليس في «من»، فقصد به التفخيم والتعظيم، كأنه تعالى قال: وأي شيء عجيب غريب ولد، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران/ ٣٦].

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعاني المجازية في سورة «البلد»(*)

في قوله سبحانه: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ استعارة. وقد مضى نظير لها. والمراد باللُّبَد ههنا المال الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض، كما تلبدت طرائق الشَّعر، وسبائخ(1) القطن.

وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم: رَجُلٌ لُبَدٌ. إذا كان لازماً لبيته لا يبرحُهُ. وبه سُمِّيَ نَسر لقمان لُبَدا، لمماطلته للعمر، وطول بقائه على الدهر. فكأنه قال: أهلكتُ مالاً كان باقياً لي، وثابتاً عندي.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ استعارة. والمراد بالنَّجْدَيْن ههنا الطريقان المفضيان إلى الخير والشر. والنُّجد: المكان العالي، وإنما سَمَّى تعالى هذين الطريقين بالنجدين، لأنه بيَّنهما للمكلَّفين بَيَاناً واضحاً ليتَّبعوا سبيل الخير، ويجتنبوا سبيل الشر. فكأنه تعالى بفَرط البيان لهما، قد رفعَهما للعيون، ونَصَبهُما للناظرين.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ استعارة أخرى. وفسَّر تعالى المراد بالعقبة، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾.

فشبه سبحانه هذا الفعل ـ إذا فعله الإنسان ـ باقتحام العقبة، أي صعودها أو قَطْعها. لأن الإنسان ينجو بذلك

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب: «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرَّخ.

(1) سبائخ القطن: ما تناثر أو انتفش منه. يقال: طارت سبائخ القطن. انظر «المحيط».

كالناجي من الطريق الشاق، إذا اقتحم عقبته، وتجاوز مخافته. وحَسُن تمثيل هذا الفعل ههنا بالعقبة لمّا شبّه سبحانه سبيلي الخير والشر بالنَّجدين اللذين هما الطريقان الواضحان؛ والعقاب[1] إنما تكون في طريق السالكين، وسبيل المسافرين. وعليها يكون بهر الأنفاس، وشدة الضغاط والمراس.



(١) العقاب أي العقبات.



سورة الشّمس

۹۱


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

أهداف سورة «الشمس»(*)

سورة «الشمس» سورة مكّيّة، آياتها ١٥ آية، نزلت بعد سورة «القدر».

وهي سورة قصيرة ذات قافية واحدة، وإيقاع موسيقي واحد، تتضمّن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها السورة، والتي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة، حقيقةِ النفس البشرية واستعدادها الفطري، ودور الانسان في شأن نفسه، وتَبِعَته في مصيرها. هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون، ومشاهده الثابتة.

«كذلك تتضمّن قصة ثمود وتكذيبها بإنذار رسولها، وعَقرِها للناقة، ومصرعِها بعد ذلك وزوالها، وهي نموذج من الخيبة التي تصيب من لا يُزَكّي نفسه، فيدعها للفجور».

ولا يلزمها تقواها: كما جاء في الفقرة الأولى من السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٦]:

المفردات: ضُحاها: ضحى الشمس ضوؤها.

تلاها: جاء بعدها.

جلّاها: أظهرها.

يغشاها: يغطّيها ويحجب نورها.

طحاها: وطأها وجعلها فراشاً.

دَسّاها: التدسية النقص والإخفاء.

(*) انتُقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

لله تعالى كتابان: كتاب مقروء، وهو القرآن الكريم، وكتاب مفتوح، وهذا هو الكون العظيم، ومشاهد الكون تأسر القلوب، وتبهج النفس، وتوقظ الحس، وتنبّه المشاعر.

«ومن ثم يُكثر القرآن من توجيه القلب الى مشاهد الكون بشتّى الأساليب في شتّى المواضع، تارة بالتوجيهات المباشرة، وتارة باللمسات الجانبية، كهذا القسم بتلك الخلائق والمشاهد، وَوَضْعِها إطاراً لما يليها من الحقائق».

[الآية ١]: أقسم الله بالشمس، وبنورها الساطع في وقت الضحى، وهو الوقت الذي يظهر فيه ضوء النهار، ويتجلّى نور الشمس، ويعمّ الدفء في الشتاء، والضياء في الصيف، قبل حر الظهيرة وقيظها.

[الآية ٢]: وأقسم الله بالقمر إذا جاء بعد الشمس، بنوره اللطيف الهادئ الذي يغمر الكون بالضياء والأنس والجمال.

[الآية ٣]: وأقسم بالنهار إذا أظهر الشمس، وأتمّ وضوحها، وللنهار في حياة الانسان آثار جليلة، ففيه السعي والحركة والنشاط.

[الآية ٤]: وأقسم الله بالليل إذا غَشِيَ الكون، فغطى ظلامه الكائنات، وحَجَبَ نورَ الشمس وأخفاه.

[الآية ٥]: وأقسم الله بالسماء ومن قدّر خلقها، وأحكم صنعها على النحو الذي نشاهده.

[الآية ٦]: وأقسم الله بالأرض، والذي بسطها ومهّدها للسُكنى.

لقد جمع القسم بين ضياء الشمس ونور القمر، وضوء النهار وظلام الليل، وارتفاع السماء وبسط الأرض، وتلحظ في هذا القسم المقابلة بين النور والظلام، بين السماء والأرض، مما يلفت النظر إلى بديع صنع الله، وجليل وحيه وإعجاز كتابه.

[الآيات ٧ ـ ١٠]: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.

خلق الله الانسان مزوداً باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، فهو قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر.

لقد خلق الله الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه، وأسْجَدَ له ملائكته، وزوّده

بالعقل والإرادة، والحرية والاختيار. وقد بين الله للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال، وأودع في النفس البشرية أصول المعرفة، والتمييز بين الحق والباطل، فمن حمل نفسه على الاستقامة، وصانها عن الشر، فقد رزق الفلاح والسداد. ومن أهمل نفسه واتّبع شهواته، وأرخى العنان لنزواته، فقد خاب، لأنه هوى بنفسه من سموّ الطاعة إلى حضيض المعصية.

[الآيـات ١١ ـ ١٥]: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾.

ثمود: قوم من العرب البائدة، بعث الله إليهم نبياً اسمه صالح عليه السلام.

بطغواها: بطغيانها.

انبعث: قام بِعقْرِ الناقة.

أشقاها: أشقى رجلٍ في قوم ثمود، وهو قُدار بن سالف.

سقياها: شرابها الذي اختصّها به في يومها.

فعقروها: فذبحوها، والعاقر واحد، ونسب إليهم جميعهم لرضاهم به.

دمدم عليهم: أطبق عليهم بالعذاب.

سوّاها: فسوّى القبيلة في العقوبة، فلم يفلت منها أحد.

عقباها: عاقبة الدمدمة وتَبِعَتُها.

ذُكرت قصة ثمود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد ذُكر هنا طغيانها وعتوّها على أمر الله، وقد أعطى الله نبيهم صالحاً الناقة آية مبصرة، فكانت تشرب وحدها من الماء في يوم، وتحلب لهم لبناً يكفيهم جميعاً في ذلك اليوم، ثم يشربون من الماء في اليوم التالي. وقد حذرهم رسول الله صالح من الإساءة إلى الناقة، ولكنهم خالفوا أمره، وذهب شقي منهم فعقر الناقة، ولمّا سكتوا عنه صاروا كأنهم قد اشتركوا معه، لأنهم أهملوا التناصح، ولم يأخذوا على يد الظالم ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ فأطبق عليهم العذاب، وسوى الله القبيلة بالأرض، أي دمر مساكنها على ساكنيها.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ أي أن الله أهلك القبيلة دون أن يخشى عاقبة ما فعل، لأنه عادل لا يخاف عاقبة ما فعل، قويّ لا يخاف أن يناله مكروه من أحد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

مقاصد السورة

١ ـ القَسَمَ بالشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض والنفس، على أنّ من طَهَّرَ نفسه بالأخلاق الفاضلة، فقد أفلح وفاز؛ ومن سلك طريق الهوى والغواية، فقد خاب وشقي.

٢ ـ ذكر ثمود مثلاً لمن دَسَّى نفسه فاستحق عقاب الله.



ترابط الآيات في سورة «الشمس»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الشمس بعد سورة القَدْر، ونزلت سورة القدر بعد سورة عبَس، ونزلت سورة عبَس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة الشمس في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ وتبلغ آياتها خمس عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي، فهي في سياق الترغيب والترهيب كسورة البلد، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي
الآيات [١ ـ ١٥]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾، فأقسم بالشمس وما ذكر بعدها على فلاح مَنْ زكّى نفسه بالطاعات، وخيبة من دسّاها بالمعاصي، ثم أثبت هذا بعد القسم بما حصل لثمود بمعصيتها حينما أمرهم

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

صالح أن يتركوا ناقة الله وشربها، فكذّبوه في رسالته وذبحوا هذه الناقة. فدمدم عليهم ربهم أي أطبق عليهم عذابه فسوّاها: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾.



أسرار ترتيب سورة «الشمس»(*)

أقول: هذه الثلاث حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة، لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة، ومنها سورة الفجر، لكن فُصِلت بسورة البلد لنكتة أهم، كما فُصِل بين الانفطار والانشقاق وبين المُسَبِّحات، لأن مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وآكد في المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لمّا ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة[1]. فقوله، في الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، هم أصحاب الميمنة في سورة البلد؛ وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ في سورة الشمس، هم أصحاب المشأمة في سورة البلد، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة: ولهذا قال الإمام: المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي.

ونزيد في سورة الليل: أنها تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل] وما بعدها، تفصيل قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾. وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب: «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) الفَذْلَكة: خلاصة ما فُصِّل من أمرٍ ما.

وَاسْتَغْنَىٰ (٨)﴾ [الليل] الآيات، تفصيل قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾.

ونزيد في سورة الضحى: أنها متصلة بسورة الليل من وجهين. فإنّ فيها ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣)﴾ [الليل]. وفي الضحى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)﴾. وفي الليل: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ وفي الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥)﴾.

ولمّا كانت سورة الضحى نازلة في شأنه (ص) فقد افتتحت بالضحى، الذي هو نور. ولما كانت سورة الليل سورة أبي بكر، يعني: ما عدا قصة البخيل[1]، وكانت سورة الضحى سورة محمد (ص)، عَقَّبَ بها، ولم يجعل بينهما واسطة، ليعلم ألاّ واسطة بين محمد (ص) وأبي بكر.



(٢) الذي نزل في أبي بكر من هذه السورة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥)﴾ [الليل] الى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ [الليل]. أخرج ابن جرير أنه كان يعتق على الإسلام بمكّة عجائز ونساء إذا أسلمن، فلامه أبوه، فنزلت. تفسير ابن جرير الطبري: ٣٠/١٤٢.

المبحث الرابع

مكنونات سورة «الشمس»(*)

١ ـ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

هو قُدار[1].

وقال الفرّاء[2] والكلبي: هما رجلان: قُدار بن سالف ومِصدع بن دُهر ولم يقل: (أشقياها) للفاصلة[3].

(*) انتُقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِماتِ الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) قُدار بن سالف. انظر «تفسير الطبري» ٣٠/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) في «معاني القرآن» ٣/٢٦٨.

(٣) في «الإتقان» ٢/١٤٨ في قوله تعالى في هذه السورة: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١٣] هو صالح.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الشمس»(*)

قال تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

قالوا: معنى (دسّاها) دسّها في أهل الخير، وليس منهم.

ويقال: قد خابَ من دَسّى نفسه فأخملها بترك الصدقة والطاعة. وإذا كان أصل (دسّاها) دسّها، فقد بدِّلت بعض سيناتها ياءً كما قالوا: تظنّيت من الظن.

أقول: إذا كان ذلك، فالمراد هو المراعاة للفواصل التي اقتضت تبديل بناء الفعل.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الشمس»(*)

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ أي: «وَالذِي سَوَّاهَا» فأقسم الله تبارك وتعالى بنفسه، وأنّه ربّ النفس التي سوّاها. ووقع القسم على ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾.

وقال تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١٣] أي: ناقةَ اللهِ فاحذَرُوا أذاها.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الشمس»(*)

إن قيل: لِمَ نَكَّر الله تعالى النفس دون سائر ما أقسم به حيث قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾.

قلنا: لأنه لا سبيل إلى لام الجنس، لأن نفوس الحيوانات غير الإنسان خارجة عن ذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾. ولا سبيل إلى لام العهد، لأنّ المراد ليس نفساً واحدة معهودة، وعلى قول من قال: المراد منه نفس آدم عليه السلام، فالتنكير للتفخيم والتعظيم كما سبق في سورة الفجر.

فإن قيل: أين جواب القسم؟

قلنا: قال الزَّجّاج وغيره: إنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ وحذفت اللام لطول الكلام. وقال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وقال الزمخشري: تقديره لَيُدَمْدِمَنَّ الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله (ص)، كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام. قال: وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، فكلام تابع لما قبله على طريق الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



سورة اللّيل

٩٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهداف سورة «الليل»(*)

سورة «الليل» سورة مكيّة، آياتها إحدى وعشرون آية، نزلت بعد سورة «الأعلى».

وتصف السورة مشاهد الكون، ومظاهر القدرة، وتقرير حقيقة العمل والجزاء، وتبيّن أنّ الجزاء الحق من جنس العمل.

ونلاحظ في السورة التقابل بين الليل والنهار، والذكر والأنثى، ومن أعطى واتقى، ومن بخل واستغنى، وبين الأشقى الذي كذّب وتولّى، والأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى، وهذا من بدائع التناسق في التعبير القرآني.

مع آيات السورة

[الآيات ١ ـ ٤]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾.

يغشى: يغطي كل شيء فيواريه بظلامه.

تجلّى: ظهر وانكشف بظهوره كل شيء.

وما خلق: والذي خلق.

شتّى: واحدها شتيت، وهو المتباعد بعضه عن بعض.

يقسم الله سبحانه وتعالى بالليل حينما يغشى البسيطة، ويغمرها ويخفيها، وبالنهار حينما يتجلّى ويظهر، فيظهر في تجلّيه كل شيء ويسفر.

ويقسم بالقادر العظيم الذي خلق

(*) انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها»، لعبد الله محمود شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

الذكر والأنثى، وميّز بين الجنسين مع أن المادة التي تكوّنا منها مادة واحدة، والمحلّ الذي تكوّنا فيه محل واحد.

يقسم الله بهذه الظواهر، والحقائق المتقابلة في الكون وفي الناس، على أن سعي الناس مختلف، وعملهم متباعد ومتفرّق، فمنه السّيّء ومنه الحسن، ومنه التقوى ومنه الفجور، ومنه ما يجازى عليه بالنعيم المقيم، ومنه ما يعاقب عليه بالعذاب الأليم.

[الآيات ٥ ـ ١١]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾.

أعطى: بذل ماله.

اتقى: خاف عذاب الرحمن واجتنب المحارم.

الحُسنى: الكلمة الحسنى وهي مؤنث الأحسن؛ فسنيسّره: فسنهيّئه.

لليُسْرى: لليسر والسهولة.

العُسْرى: العسر والعنت والمشقة.

تردّى: هلك، وهو تفعّل من الردى.

فأمّا من أعطى الفقراء، وأنفق المال في وجوه الخير، وراقب الله وابتعد عن المحرّمات، وأيقن أنّ الله سيخلف عليه ما أنفق، مصدّقاً بالفضيلة، ومميّزاً بينها وبين الرذيلة، وابتعد من طريق الغواية، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ فسنجعل اليسر يفيض من نفسه على كل ما حوله، وعلى كلّ من حوله، اليسر في خطوه، واليسر في طريقه، واليسر في تناوله للأمور كلها، والتوفيق الهادئ المطمئن في كليّاتها وجزئيّاتها.

وأمّا من بخل بماله، واستغنى عن ربّه وهداه، وكذّب بالدين الحقّ، ولم يصدّق بأن الله سَيُخلِف على المنفقين، وسيجزي المحسنين، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ فيسلب الله منه الهدى واليسر، ويحرمه كلّ تيسير، ويجعل في كلّ خطوة من خطاه مشقّة وحرجاً، ينحرف به عن طريق الرشاد، فإذا تردّى وسقط في نهاية العثرات والانحرافات، لم يُغْنِ عنه ماله الذي بخل به، والذي استغنى به كذلك عن الهدى والسداد.

[الآيات ١٢ ـ ٢١]:

تَلَظّى: أصله تَتَلَظّى، أي تتوقّد وتلتهب.

لا يصلاها: لا يحترق بها.

الأشقى: من هو أشدّ شقاء من غيره.

كَذَّبَ: كذّب الرسول فيما جاء به عن ربه.

تَوَلَّى: أعرض عن طاعة ربه.

يَتَزَكَّى: يتطهّر.

تُجْزَى: تجازى وتكافأ.

[الآيـة ١٢]: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي أنّا خلقنا الإنسان وألهمناه التميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ثم أرسلنا له الرسل، وأنزلنا له الكتب لترشده الى الهداية والإيمان.

[الآيـة ١٣]: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ وأنّا المالكون لكل ما في الآخرة ولكلّ ما في الأولى، فأين يذهب من يريد أن يذهب بعيداً من الله؟

[الآيـتـان ١٤ و١٥]: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ وأنّ من هداية الله للبشر، أنْ خوّفنا رسوله الكريم محمد (ص) ناراً تلظّى: تتسعّر، وتشتدّ ألسنة لهبها، هذه النار لا يقاسي حرها إلاّ أشدّ الناس شقاوة، وهو الكافر.

[الآيـة ١٦]: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ الذي كذّب بالدعوة، وكذّب الرسول (ص) فيما جاء به عن ربّه من الآيات، وأعرض أيضاً عن اتّباع شرائعه، وانصرف عن الحق دون دليل يستند إليه، حتّى صار التكذيب والإعراض أبرز أوصافه.

[الآيـتـان ١٧ و١٨]: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ وسيبعد عن النار من اتقى الله، وابتعد عن الموبقات، الذي ينفق أمواله في وجوه البر، طالباً بذلك طهارة نفسه، وقُربها من ربه، ولا يريد بذلك رياء على معروف، وانّما يقدم الخير ابتغاء مرضاة الله، وحبّاً في ذاته سبحانه. ولسوف يرضى من فعل ذلك بأحسن ثواب، في أفضل مكان وفي أحسن جوار.

رُوِي أنّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق(رض)، وقد كان من أمره أنّ بلال بن رباح، وكان مولى لعبد الله بن جدعان، دخل في الإسلام، فكان سيده يعذّبه، ويخرجه إلى الرمضاء في حرّ الظهيرة، ويضع الحجر على بطنه، ويقول له لا تزال كذلك حتى تموت، أو تكفر بمحمّد، فلا يزيد بلال على أن يقول أحد أحد.

وكان رسول الله (ص) يمرّ به وهو يعذّب فيقول له ينجيك أحد أحد؛ ثمّ أخبر رسول الله (ص) أبا بكر (رض) بما يلقى بلال في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر إلاّ ليد كانت لبلال عنده، فنزل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾ الى آخر السورة.

مقاصد السورة

١ ـ بيان أن الناس في الدنيا فريقان:

(أ) فريق يهيّئه الله للخصْلة اليسرى، وهم الذين أعطوا الأموال لمن يستحقها وصدقوا بما وعد الله من الاخلاف على من أنفق.

(ب) وفريق يهيئه الله للخصْلة المؤدية الى العسر والشدة، وهم الذين بَخِلوا بالأموال، واستغنوا بالشهوات وأنكروا ما وعد الله به من ثواب الجنة.

٢ ـ الجزاء في الآخرة من جنس العمل، فالأشقى له النار، والأتقى له الجنة والرِّضوان.

ترابط الآيات في سورة «الليل»(*)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، فيكون نزول سورة الليل في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ وتبلغ آياتها إحدى وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في بذل المال في سبيل الله، والتحذير من البخل، فهي في سياق السورة السابقة أيضاً، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

الترغيب في البذل والتحذير من البخل
الآيات [١ ـ ٢١]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، فأقسم، بالليل وما ذكر بعد، على أنّ سعيهم مختلف في الجزاء. فأمّا من بذل من ماله في سبيل الله مع التقوى والتصديق بما جاء به النبي (ص)، فسيكون جزاؤه الجنّة؛ وأما من بخل ولم يتّق ولم يُصدّق بذلك فجزاؤه النار، ولا يغني عنه ماله شيئاً؛ ثم ذكر أنه قد قضى بذلك حقّهم

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفني في القرآن»، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب بالجمايز ـ المطبعة النموذجية بالحكمية الجديدة، القاهرة، غير مؤرّخ.

في الإرشاد، وأنّ له مُلْكَ الدّارين فلا يَضُرُّه تركهم الاهتداء، ثمّ أنذرهم النار التي لا يصلاها إلاّ غير المهتدي،

وسيجنّبها من اهتدى فبذل ماله ليطهّر نفسه، ولا يبتغي بذلك إلاّ وجه ربه الأعلى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾.



مكنونات سورة «الليل»(*)

١ ـ ﴿الْأَشْقَى ⑮﴾.

هو أميّة بن خلف. أخرجه ابنُ أبي حاتم عن ابن مسعود.

٢ ـ ﴿الْأَتْقَى ⑰﴾.

هو أبو بكر الصديق. كما في أحاديث في «المستدرك» وغيره[1].



(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «مُفْحِمات الأقران في مُبْهمات القرآن» للسُّيوطي، تحقيق إياد خالد الطبّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرخ.

(١) أنظر «المستدرك» للحاكم ٢/ ٥٢٥ و«تفسير الطبري» ٣٠/ ١٤٢، و«سيرة ابن هشام» ١/ ٢١٩، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٢١.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لغة التنزيل في سورة «الليل»(*)

١ ـ قال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾.

أقول: اليُسْرى والعُسْرَى مصدران كالحُسْنَى والبُقيا وغير ذلك. أو قل هي أسماء من اليُسْر والعُسْر والحُسْن والبَقْي.

والأصل كما أرى أنها مؤنثة الوصف بـ «أفعل» وهو الأيسر والأعسَر والأحسَن والأبقى.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل»، لإبراهيم السامرّائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الليل»(*)

قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ فهذه الواو واو عطف عُطِفَ بها على الواو التي في القسم الأول. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ إنه جعل القسم بالخلق، كأنه جلّ جلاله أَقْسَمَ بما خلق، ثم فسّره بجعله بدلاً من (ما).

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، بيروت، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكل سؤال جواب في سورة «الليل»(*)

إن قيل: لِمَ قال الله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ مع أن الشقيّ أيضاً يصلاها: أي يقاسي حرها وعذابها؟

قلنا: قال أبو عبيدة: الأشقى هنا بمعنى الشقي، والمراد كلّ كافر، والعرب تستعمل أفعل في موضع فاعل ولا تريد به التفضيل، وقد سبق تقرير ذلك والشواهد عليه في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الآية ٢٧].

وقال الزجاج: هذه نار موصوفة معيّنة، فهو دَرَكٌ مخصوص ببعض الأشقياء، ورد عليه ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ والأتقى يجنّب عذاب أنواع نار جهنّم كلّها، والمراد بالأتقى هنا أبو بكر الصديق (رض) بإجماع المفسّرين، ولهذا قال الزمخشري: إنّ الأشقى ليس بمعنى الشقي بل هو على ظاهره، والمراد به أبو جهل أو أميّة بن خلف. فالآية واردة للموازنة بين حالتي أعظم المؤمنين وأعظم المشركين، فبولغ في صفتيهما المتناقضتين، وجعل هذا مختصاً بالصَّلى (أي بالنار)، كأن النار لم تخلق إلا له لوفور نصيبه منها، وجاء قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ على موازنة ذلك ومقابلته، مع أنّ كلّ تقي يُجَنَّبُها.

(*) انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، غير مؤرّخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهـــرس

سورة «المرسلات»

المبحث الأول

أهداف سورة «المرسلات» ٣

تسلسل أفكار السورة ٤

مع آيات السورة ٥

مقاصد السورة ٩

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المرسلات» ١١

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١١

الغرض منها وترتيبها ١١

إثبات وقوع العذاب ١١

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المرسلات» ١٣

المبحث الرابع

مكنونات سورة «المرسلات» ١٥

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «المرسلات» ١٧

المبحث السادس
المعاني اللغوية في سورة «المرسلات» ١٩
المبحث السابع
لكل سؤال جواب في سورة «المرسلات» ٢١
المبحث الثامن
المعاني المجازية في سورة «المرسلات» ٢٣

سورة «النبأ»

المبحث الأول
أهداف سورة «النبأ» ٢٧
مع آيات السورة ٢٨
معنى الآيات ٢٨
موضوعات السورة ٣١
المبحث الثاني
ترابط الآيات في سورة «النبأ» ٣٣
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٣٣
الغرض منها وترتيبها ٣٣
إثبات البعث ٣٣
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورة «النبأ» ٣٥
المبحث الرابع
مكنونات سورة «النبأ» ٣٧
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «النبأ» ٣٩

المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «النبأ» ٤١
المبحث السابع
المعاني المجازية في سورة «النبأ» ٤٣

سورة «النازعات»

المبحث الأول
أهداف سورة «النازعات» ٤٧
مع آيات السورة ٤٨
موضوعات سورة النازعات ٥١
المبحث الثاني ٥٣
ترابط الآيات في سورة «النازعات» ٥٣
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٥٣
الغرض منها وترتيبها ٥٣
إثبات البعث ٥٣
المبحث الثالث
مكنونات سورة «النازعات» ٥٥
المبحث الرابع
لغة التنزيل في سورة «النازعات» ٥٧
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «النازعات» ٥٩
المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «النازعات» ٦١

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «النازعات» ٦٣

سورة «عَبَسَ»

المبحث الأول

أهداف سورة «عَبَسَ» ٦٧

فقرات السورة ٦٧

مع آيات السورة ٦٨

مقاصد السورة ٧١

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «عَبَسَ» ٧٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٧٣

الغرض منها وترتيبها ٧٣

التسوية بين الناس في الدعوة ٧٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «عَبَسَ» ٧٥

المبحث الرابع

مكنونات سورة «عَبَسَ» ٧٧

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «عَبَسَ» ٧٩

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «عَبَسَ» ٨١

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «عَبَسَ» ٨٣

سورة «التكوير»

المبحث الأول

أهداف سورة «التكوير» ٨٧

مع آيات السورة ٨٧

المقطع الثاني ٨٩

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «التكوير» ٩٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٩٣

الغرض منها وترتيبها ٩٣

إثبات الحساب على الأعمال ٩٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «التكوير» ٩٥

المبحث الرابع

مكنونات سورة «التكوير» ٩٧

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «التكوير» ٩٩

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «التكوير» ١٠١

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «التكوير» ١٠٣

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «التكوير» ١٠٥

سورة «الانفطار»

المبحث الأول

أهداف سورة «الانفطار» ١٠٩

مع آيات السورة ١٠٩

مقاصد السورة ١١٤

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانفطار» ١١٥

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١١٥

الغرض منها وترتيبها ١١٥

إثبات الحساب على الأعمال ١١٥

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الانفطار» ١١٧

المبحث الرابع

المعاني اللغوية في سورة «الانفطار» ١١٩

المبحث الخامس

لكل سؤال جواب في سورة «الانفطار» ١٢١

سورة «المطفّفين»

المبحث الأول

أهداف سورة «المطفّفين» ١٢٥

مقاطع السورة ١٢٥

من أسباب نزول السورة ١٢٦

مع آيات السورة ١٢٦

مقاصد السورة ١٣٠

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المطفّفين» ١٣٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٣٣

الغرض منها وترتيبها ١٣٣

تحريم التطفيف ١٣٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المطفّفين» ١٣٥

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «المطفّفين» ١٣٧

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «المطفّفين» ١٣٩

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «المطفّفين» ١٤١

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «المطفّفين» ١٤٣

سورة «الانشقاق»

المبحث الأول

أهداف سورة «الانشقاق» ١٤٧

مقاطع السورة ١٤٧

مع آيات السورة ١٤٨

مقاصد السورة ١٥١

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانشقاق» ١٥٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٥٣
الغرض منها وترتيبها ١٥٣
إثبات المعاد ١٥٣
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورة «الانشقاق» ١٥٥
المبحث الرابع
لغة التنزيل في سورة «الانشقاق» ١٥٧
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «الانشقاق» ١٥٩
المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «الانشقاق» ١٦١
المبحث السابع
المعاني المجازية في سورة «الانشقاق» ١٦٣

سورة «البروج»

المبحث الأول
أهداف سورة «البروج» ١٦٧
أصحاب الأخدود ١٦٧
فقرات السورة ١٦٧
مع آيات السورة ١٦٨
مقاصد السورة ١٧٠
المبحث الثاني
ترابط الآيات في سورة «البروج» ١٧١
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٧١

الغرض منها وترتيبها ١٧١
تثبيت المؤمنين ١٧١
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورتي «البروج» و«الطارق» ١٧٣
المبحث الرابع
مكنونات سورة «البروج» ١٧٥
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «البروج» ١٧٧
المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «البروج» ١٧٩

سورة «الطارق»

المبحث الأول
أهداف سورة «الطارق» ١٨٣
مع آيات السورة ١٨٣
مقاصد السورة ١٨٦
المبحث الثاني
ترابط الآيات في سورة «الطارق» ١٨٧
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٨٧
الغرض منها وترتيبها ١٨٧
إثبات حفظ الأعمال ١٨٧
المبحث الثالث
مكنونات سورة «الطارق» ١٨٩

المبحث الرابع
لكل سؤال جواب في سورة «الطارق» ١٩١
المبحث الخامس
المعاني المجازية في سورة «الطارق» ١٩٣

سورة «الأعلى»

المبحث الأول
أهداف سورة «الأعلى» ١٩٧
مع آيات السورة ١٩٧
يسر الشريعة الإسلامية ٢٠٠
مقاصد سورة الأعلى ٢٠٤
المبحث الثاني
ترابط الآيات في سورة «الأعلى» ٢٠٥
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٠٥
الغرض منها وترتيبها ٢٠٥
منهاج الدعوة ٢٠٥
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورة «الأعلى» ٢٠٧
المبحث الرابع
لكل سؤال جواب في سورة «الأعلى» ٢٠٩

سورة «الغاشية»

المبحث الأول
أهداف سورة «الغاشية» ٢١٣

مع آيات السورة ٢١٣
مقاصد السورة ٢١٧
المبحث الثاني ٢١٩
ترابط الآيات في سورة «الغاشية» ٢١٩
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢١٩
الغرض منها وترتيبها ٢١٩
تفصيل الثواب والعقاب ٢١٩
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورة «الغاشية» ٢٢١
المبحث الرابع
لغة التنزيل في سورة «الغاشية» ٢٢٣
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «الغاشية» ٢٢٥
المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «الغاشية» ٢٢٧
المبحث السابع
المعاني المجازية في سورة «الغاشية» ٢٢٩

سورة «الفجر»

المبحث الأول
أهداف سورة «الفجر» ٢٣٣
مع آيات السورة ٢٣٤
خلاصة أهداف السورة ٢٣٨

المبحث الثاني
ترابط الآيات في سورة «الفجر» ٢٣٩
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٣٩
الغرض منها وترتيبها ٢٣٩
إثبات العذاب ٢٣٩
المبحث الثالث
أسرار ترتيب سورة «الفجر» ٢٤١
المبحث الرابع
مكنونات سورة «الفجر» ٢٤٣
المبحث الخامس
لغة التنزيل في سورة «الفجر» ٢٤٥
المبحث السادس
المعاني اللغوية في سورة «الفجر» ٢٤٧
المبحث السابع
لكل سؤال جواب في سورة «الفجر» ٢٤٩
المبحث الثامن
المعاني المجازية في سورة «الفجر» ٢٥١

سورة «البلد»

المبحث الأول
أهداف سورة «البلد» ٢٥٥
مع آيات السورة ٢٥٥
مقاصد السورة ٢٥٩

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «البلد» ٢٦١
تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٦١
الغرض منها وترتيبها ٢٦١
ذم الحرص على الدنيا ٢٦١

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «البلد» ٢٦٣

المبحث الرابع

مكنونات سورة «البلد» ٢٦٥

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «البلد» ٢٦٧

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «البلد» ٢٦٩

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «البلد» ٢٧١

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «البلد» ٢٧٣

سورة «الشمس»

المبحث الأول

أهداف سورة «الشمس» ٢٧٧
مع آيات السورة ٢٧٧
مقاصد السورة ٢٨٠

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الشمس» ٢٨١

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٨١

الغرض منها وترتيبها ٢٨١

الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي ٢٨١

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الشمس» ٢٨٣

المبحث الرابع

مكنونات سورة «الشمس» ٢٨٥

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «الشمس» ٢٨٧

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الشمس» ٢٨٩

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «الشمس» ٢٩١

سورة «الليل»

المبحث الأول

أهداف سورة «الليل» ٢٩٥

مع آيات السورة ٢٩٥

مقاصد السورة ٢٩٨

المبحث الثاني ٢٩٩

ترابط الآيات في سورة «الليل» ٢٩٩

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٩٩

الغرض منها وترتيبها ٢٩٩
الترغيب في البذل والتحذير من البخل ٢٩٩
المبحث الثالث
مكنونات سورة «الليل» ٣٠١
المبحث الرابع
لغة التنزيل في سورة «الليل» ٣٠٣
المبحث الخامس
المعاني اللغوية في سورة «الليل» ٣٠٥
المبحث السادس
لكل سؤال جواب في سورة «الليل» ٣٠٧


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

